مصباح الانوار في شرح تيسر الخلاق

في العلم الاخلاق

تأليف الشيخ حافظ حسن المسعودى

جمعها وشرحها الفقير فخر الرازي الاونوي ألآتشه دار السلام (الحقير ابي ميدان)

خِرِّيْجٌ معهد الفتوى فالوه فادغ تيجى ومعهد العلوم الدينية الاسلامية سملنجا

و الخادم العلم في المعهد الدار الحكمة الاسلامية فونكا ريوك مولبوة

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(بسم الله)اي ابدأ بكل اسم للذات الاقدس لا بغيره لتبرك (الرحمن)اي المنعم بجلائل النعم كالايمان والعافية والعقل والغنى عن الناس (الرحيم)اي المنعم بدقائقها قليلها وصغيرها كزيادةالرزق ونحوها ولا ينافى ذلك قولهم ان نعمةالله كلها عظيمة لان المراد القليلة ولو بالنسبة لشئ آخر[أ]

(الحمد) هو الثناء على الجميل الاختياري (الله) هو على علم الذات الواجب الوجود المستحق لجميع الكمالات لذاته ولم يسم به غيره تعالى ولو تعنتا في الكفر بخلاف الرحمن على نزاع فيه ، وأصله إله حذفت همزته وعوض عنها أل وهو اسم جنس لكل معبود ، ثم استعمل في المعبود بحق فقط فوصف ولم يوصف به وعليه فمفهوم الجلالة بالنظر لأصله كلي وبالنظر إليه جزئي ومن ثم كان من الأعلام الخاصة من حيث إنه لم يسم به غيره تعالى ومن الغالبة من حيث إن أصله الإله بالنظر لاستعماله في المعبود بحق فقط ، وكان قول لا إله إلا الله كلمة توحيد أي لا معبود بحق إلا ذلك الواحد الحق ومن زعم أنه اسم لمفهوم الواجب الوجود لذاته أو المستحق

[أ] سراج الطالبين

للمعبودية ، وكل منهما كلي انحصر في فرد فلا يكون علما لأن مفهوم العلم جزئي فقد سها ولزمه أن لا إله إلا الله لا تفيد توحيدا كما بينته في شرح الإرشاد من أله بكسر عينه إذا تحير لتحير الخلق في معرفته أو بفتحها إذا عبد أو من لاه إذا ارتفع أو إذا احتجب ، وهذا لكونه نظرا لأصله قبل العلمية لا ينافي علميته وهو عربي ووروده في غير العربية من توافق اللغات كما أن الحق وفاقا للشافعي والأكثرين أن كل ما قيل في القرآن من غير الأعلام أنه معرب ليس كذلك بل عربي توافقت فيه اللغات ولا بدع أن يخفى على مثل ابن عباس كونه عربيا كما خفي عليه معنى فاطر وفاتح ، وقد قال الشافعي رضي الله عنه لا يحيط باللغة إلا نبي ومشتق عند الأكثرين وقول أبي حيان في نحره ليس مشتقا عند الأكثرين لعله أراد من النحاة وأعرف المعارف وإن كان علما [1]

(الكريم) هو الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه ، وهو الكريم المطلق ، والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل ومنه الحديث إن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب لأنه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الأخلاق والعدل ورئاسة الدنيا والدين ، فهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي رابع أربعة في النبوة وفيه لا تسموا العنب الكرم ، فإنما الكرم الرجل المسلم قيل سمي الكرم كرما ؛ لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء والكرم ، فاشتقوا له منه اسما ، فكره أن يسمى باسم مأخوذ من الكرم ، وجعل المؤمن أولى به يقال رجل كرم أي كريم وصف بالمصدر ، كرجل

---

[1] تحفة المحتاج في شرح المنهاج

عدل وضيف . قال الزمخشري أراد أن يقرر ويسدد ما في قوله عز وجل إن أكرمكم عند الله أتقاكم بطريقة أنيقة ومسلك لطيف وليس الغرض حقيقة النهي عن تسمية العنب كرما ، ولكن الإشارة إلى أن المسلم التقي جدير بألا يشارك فيما سماه الله به وفيه أن رجلا أهدى له راوية خمر ، فقال إن الله حرمها ، فقال الرجل أفلا أكارم بها يهود المكارمة أن تهدي لإنسان شيئا ليكافئك عليه ، وهي مفاعلة من الكرم وفيه إن الله يقول إذا أخذت من عبدي كريمتيه فصبر لم أرض له ثوابا دون الجنة ويروى كريمته يريد عينيه أي جارحتيه الكريمتين عليه ، وكل شيء يكرم عليك فهو كريمك وكريمتك ومنه الحديث أنه أكرم جرير بن عبد الله لما ورد عليه فبسط له رداءه وعممه بيده وقال إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه أي كريم قوم وشريفهم والهاء للمبالغة ومنه حديث الزكاة واتق كرائم أموالهم أي نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها حيث هي جامعة للكمال الممكن في حقها وواحدتها كريمة ومنه الحديث وغزو تنفق فيه الكريمة أي العزيزة على صاحبها وفيه خير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين أي بين أبوين مؤمنين وقيل بين أب مؤمن هو أصله ، وابن مؤمن هو فرعه فهو بين مؤمنين هما طرفاه ، وهو مؤمن والكريم الذي كرم نفسه عن التدنس بشيء من مخالفة ربه وفي حديث أم زرع كريم الخل لا تخادن أحدا في السر أطلقت كريما على المرأة ، ولم تقل كريمة الخل ، ذهابا به إلى الشخص وفيه ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه التكرمة الموضع الخاص لجلوس الرجل من فراش أو سرير مما يعد لإكرامه وهي تفعلة من الكرامة[أ] .

[أ] النهاية في غريب الحديث والأثر

(الخَلّاق) اي المبدع بدون مثال والصانع والمبتكر، والخلاق: اسم من أسماء الله الحسنى

(والصلاة)من الله تعالى : الرحمة ، ومن الملائكة : الاستغفار ، ومن الآدميين : الدعاء

(والسلام)هو الدعاء بسلامة بدنه – في حال حياته – ، وسلامة دينه صلى الله عليه وسلم ، وسلامة بدنه في قبره ، وسلامته يوم القيامة

(على سيدنا) اي مولانا وهادينا

(محمد) الذي كثرت خصاله الحميدة هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن سعد بن عدنان المبعوث لسائر الأمم صلى الله عليه

(لتتميم مكارم الاخلاق)صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين بها تُنال الدرجات وتُرفع المقامات وقد خص اللّه جل وعلا نبيه محمداً صلى اللّه عليه وسلم بآية جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب فقال وإِنَّك لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ القلم ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم إِنَّما بُعثت لِأتَمِّمَ مكارم الأخلاق وعلى آله أتى بذلك امتثالا لخبر: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله

(وأصحابه) وجه ندب الإتيان بهم في نحو هذا المقام إلحاقهم بالآل، بقياس الأولى، لأنهم أفضل من الآل الذين لا صحبة لهم.[أ]

(ما جرى قلم التلخيص والبيان على صفة الاوراق)

تلخيص الكلام تنقيحه أي الإتيان به خالصا من الحشو والتطويل، والبيان هو الكلام الفصيح المعرب عما في الضمير. اهـ[ب]

(اما بعد)معناهافصل الخطاب جاء في لسان العرب أن فصلِ الخطَاب هوأَمّا بَعْدُ يروى أن أول من قال أما بعد داود النبي عليه السلام وأن ذلك فصل الخطاب الذي قال الله عز وجلوآتيناه الحكمة وفصل الخطاب

(فهذا مختصر)اي مُوجَزٌ (في علم الاخلاق) هو ذلك العلم الّذي يتكلم عن قيمة الصفات والسلوكيات الاختيارية وضرورة وجودها عند الإنسان (الدينية) الإسلامية (وضعته لطلاب السنة الاولى الازهرية وسميته تيسر الخلاق في علم الاخلاق)بشرحي مصباح الانوار فى شرح تيسر الخلاق في العلم الخلاق(فقلت وبالله العصمة وبيده اتمام النعمة) (علم الاخلاق عبارة)هي الكلام الذي يُبَيِّنُ به ما في النفس من معان مصدر عَبَرَ (عن قواعد)من القاعدة هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها (يعرف بها صلاح القلب)فالقلب مصدر السعادة والشقاء للإنسان (وسائر الحواس)من المعاصي (وموضوعه الاخلاق من حيث التحلى بمحاسنها

[أ] إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين

[ب] حاشية الدسوقي على شرح السعد ١/٨

والتخلى عن عن قبائحها)التخلية والتحلية وهي من أهم مبادئ أهل السلوك الصوفية التخلية تطهير النفس من أمراضها وأخلاقها الرذيلة . التحلية هي ملؤها بالأخلاق الفاضلة وإحلالها محل الأخلاق الرذيلة بعد أن خليت منه. فالأخلاق الرذيلة مثل الشرك والرياء، والعجب، والكبر، والبغض والحسد، والشح والبخل، والغضب، والحرص على الدنيا وحبها لذاتها وإيثارها على الآخرة، والفضولية وعدم الجد في الحياة وأما الأخلاق الفاضلة فكالتوحيد والإخلاص والصبر، والتوكل والإنابة، والتوبة، والشكر، والخوف والرجاء، وحسن الخلق في التعامل مع الناس، والشفقة عليهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ونفعهم بقدر المستطاع، وعدم تغيير قلوبهم بما ليس بلازم شرعاً كما قال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيِّئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأ نّه ولي حميم(فلا بد للإنسان أن يتعرف على الأخلاق الذميمة وعلى أسبابها ويعلم أنها موجودة لديه حتى يمكنه التخلص منها فإن من لم يشعر بالمرض ويتعرف على أسبابه لا يمكنه علاجه، ولكي يستطيع الإنسان الانتصار على نفسه ينبغي له أن يضع أسساً للتعامل معها في ثلاث محاورالإنصاف منها وعدم تبرئتها فقد كان صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه وهو المعصوم المسدد بالوحي . ترك الانتصاف لها من الغير بأخذ الثأر لها والانتصار لها، فإنها ظلومة جهولة وإذا كانت هي المظلومة فقد قال الله عز وجل ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور وقال الله سبحانه تعالى ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم اتهامها دائماً، فإنه إذا لم يتهمها الإنسان أغوته وقادته إلى التهلكة، فأنت مخير في الوجهة التي ترتضيها لنفسك فإذا سرت

وراءها وأطلقت لها الزمام سارت بك إلى أسفل سافلين، وإن قدتها أنت وطمحت بها إلى المراتب العالية انقادت لك وراء ذلك، فهي كالطفل تماماً كما

قال الإمام شرف الدين البصيري

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فإذا عامل الإنسان نفسه على هذا النحو ملكها واستطاع توجيهها نحو الخير، فإذا دعاها إلى عبادة انقادت له واستسلمت، وإن دعيت إلى شر وجدت تأبياً ونفوراً عنه،أما الذي لا يعالج نفسه هذا العلاج ولا يجتهد في مجاهدتها عما تهوى وتحب، فإنه إذا دعاها إلى العبادة نفرت، وإذا رأت أنه سيحملها على طاعة من الطاعات شردت، مثل الدابة تماماً، فالدابة إما أن تكون مطيعة وإما أن تكون شروداً حروناً وكذلك النفس إذا عودها الإنسان على ترك هذه الأخلاق الذميمة كانت كالدابة المطيعة المنقادة، يحمل عليها ما شاء وتسير به حيث شاء أما إذا تعودت على هذه الأخلاق الذميمة وأرخى لها الحبل على الغارب فإنها تكون شروداً حرونا إذا احتاج إليها لم يستطع إمساكها وإذا أحست بأي حمل سيحمله عليها نفرت منه فلا بد من مراقبة هذه النفس ومتابعتها، وليختبر متى استعدادها للأوامر وانصياعها للخير باستمرار فإن الذي إذا سمع النداء حي على الصلاة حي على الفلاح أخذه النعاس وبحث عن الوسادة نفسه ما زالت مريضة لم تنقذ له بعد، والذي ينام على فراشه إذا تعار من الليل لم يستطع أن ينتصر على

نفسه فيستيقظ ويذكر الله ويتوضأ ويصلي حتى تحل عنه عقد الشيطان، نفسه ما زالت مريضة تحتاج إلى علاج، والذي لا تطاوعه نفسه إذا أراد صوم النفل أو إنفاق المال أو أراد أي عمل خير لا تطاوعه نفسه ما زالت مصابة بمرض عضال مخوف لا بد من علاجه قبل فوات الأوان، فلا بد أن يضع الإنسان نفسه في قفص الاتهام وأن يحملها على العزائم وإلا قادته هي إلى المهالك(وثمرته صلاح القلب)اي القلب السليم(وسائر الجواس فى الدنيا, والفوز بأعلى المراتب فى الآخرة)كما قال الله تعالى يَوْمَ لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وقال سعيد بن المسيب القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر و المنافق مريض

التقوى

التقوى في اللغةنقول اتقى يتقي وقى يقي من الوقاية والتقوى بمعنى الستر والصون والحذر. أي وقاية وصيانة كما يقال في الشائع الوقاية خير من العلاج واصتلاحا هى(امتثال اوامر الله عز وجل واجتناب نواهيه سرا وعلانية) تبعا لشرع النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى ان يجعل العبد بينه وبين ربه وقاية عملية و تقيه غضبه سبحانه وسخطه وقال الحسن البصري رحمه الله .ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام وقال سفيان الثوريرحمه الله انما سموا متقين لانهم اتقوا ما لا يتقى وكتب احد الصالحين الى اخ له في الله ينصحه فقال اوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك ورقيبك في علانيتك فاجعل الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك وخف الله بقدرقربه منك وقدرته عليك واعلم انك بعينه ولا

تخرج من سلطانه الى سلطان غيرهولا من ملكه الى ملك غيره فليعظم منه حذرك وليكثر وجلك(فلا تتم الا بالتخلى عن كل رذيلة والتحلى بكل فضيلة)للوصول الي التجلي(فهى) اي التقوى(الطريق الذى من سلكه)اي الطريق (اهتدى والعروة الوثقى التى من استمسك بها)اي العروة (نجا)أي فاز وظفر بكل خير أو نجا من آفات الدارين (واسبابها)اي التقوى (كثيرة منها) اي كثيرة(ان يلاحظ الانسان)هو المخلوق الأول الذي قَبل حمل الأمانةَ فلما قبل حمل الأمانة كرمه الله أعظم تكريم قال تعالى وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ورزقناهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً هو المخلوق الأول والمخلوق المكرم لذلك ورد في بعض أقوال سيدنا الإمام علي رضي الله عنه أن الملائكة ركبت من عقل بلا شهوة وأن الحيوان ركب من شهوة بلا عقل بينما الإنسان ركب من كليهما فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة الدليل إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ سورة البين وإذا سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ(انه)اي الانسان (عبد ذليل)هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول فالمؤمن ذلول كما في الحديث المؤمن كالجمل الذلول والمنافق والفاسق ذليل(وان ربه)اي الانسان (قوى)على مراده (عزيز)الغالب على أمره[أ](ولا ينبغى للذليل ان يعصى العزيز لان ناصيته بيده)الناصية فى الاصل مقدم الرأس أو شعر المقدم اطلق وأريد هنا الشخص بتمامه (ومنها) اي كثيرة(ان يتذكر احسان الله اليه)إحسان الله

[أ] تفسير الجلالين

لـــك بإيجـــادك وإمـــدادك وهـــدايتك بإحســـانك إلى الخلـــق (فى جميـــع الاحوال)مفردها الحَالُ الوقْتُ الذي أنت فيه او حالُ الإنسان ما يختصُّ من أُموره المتغيَّرة الحسّيّةِ والمعنوية (ومن كان كذالك لا ينبغى ان تجحد نعمته) اي إنكار النعمة هو ترك القيام بما وجب عليهم من العلم بمعرفتها يقول الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور (ومنها ان يتذكرالموت)اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجل رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وأنه كيف كان ينطق وقد أكل

الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم[أ]و قال الحسن فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي عقل عقلاو قال بعض العلماء لأحد إخوانه احذر الموت في هذه الدنيا قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيهاالموت فلا تجده و قال أبو الدرداء إذا ذكرت الموت فعد نفسك أحدهم و قالت عائشة لامرأة أكثري ذكر الموت يرق قلبك وقال إبراهيم التيمي شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله وقال الحسن من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وقال الحسن ما ألزم عبد ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عنده وقال أبو الدرداء من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده وقال سعيد بن جبير لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد عليّ قلبي وقال الأوزاعي من أكثر ذكر الموت كفاه اليسيروقال الثوري لو أن البهائم تعقل من الموت ما تعقلون ما أكلتم منها سميناوقال الحسن بن عبد العزيز من لم يردعه القرآن والموت فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع وقال أبو نعيم كان الثوري إذا ذكر الموت لم يُنتفع به أياماً وفي الحديثأكثروا ذكرهاذم اللذات (لان من علم انه سيموت وانه ليس امامه الا الجنة او النار بعثه ذلك الى الاعمال الصالحة)هي ما كانت موافقة للشرع ويكون صاحبها مُخلصاً لربه تبارك وتعالى (حسب الاستطاعة) قال

[أ] الاحياء علوم الدين الامام الغزالي

الطحاوي رحمه الله والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي يعني الاستطاعةمع الفعل وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب كما قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ومن الاعمال الصالحة مساعدة المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي له ديناً أو تطعمه خبزاً[أ] و قال المناوي في فيض القدير أفضل الأعمال أي من أفضلها أي بعد الفرائض كما ذكره في الحديث المار، والمراد الأعمال التي يفعلها المؤمن مع إخوانه أن تدخل أي إدخالك على أخيك المؤمن أي أخيك في الإيمان وإن لم يكن من النسب سروراً أي سبباً لإنشراح صدره من جهة الدين والدنيا أو تقضي تؤدي عنه ديناً لزمه أداؤه لما فيه من تفريج الكرب وإزالة الذل أو تطعمه ولو خبزاً فما فوقه من نحو اللحم أفضل وإنما خص الخبز لعموم تيسر وجوده حتى لا يبقى للمرء عذر في ترك الإفضال على الإخوان والأفضل إطعامه ما يشتهيه انتهى (والنظر اليهم بعين العطف)اي عاملهم برفق ولين ورقّة (والرحمة)هي رِقَّةُ القلب في المُكلَّف تُوجِبُ بذلَ الخير ونفعَ المرحوم، وكفَّ الأذى عنه وهي صفةُ كمالٍ في المُكلَّف اتَّصَف بكمالها نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم وغيرُه من البشر دونَه في هذه الصفة العظيمة قال الله تعالى

[أ] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب: قضاء الحوائج، والبيهقي وغيرهما

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ومن لا رحمةَ في قلبه فهو جبَّارٌ شقيٌّ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تُنزَعُ الرحمةُ إلا من شقيٍّ[أ] (خصوصا)اي لاَسِيَّمَا(اذا سبق)اي تقدم (منهم احسان اليه)اي الانسان(واما ثمرتها)اي حاصل التقوى (ف) هو (سعادة)اي فرَحٍ وابْتِهَاجٍ بمعنى كُلَّ ما يدخِلُ البَهْجَةَ وَالفَرَحَ عَلَى النَّفْس(الدارين اما فى الدنيا) اي الحياة الحاضرة عكسها الآخرة لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ (فارتفاع القدر)اي نصيب (وجمال الصيت) اي المَشْهُورٌ(والذكر)الحسَن(واكتساب) اي طلب(المودة) اي المحبَّةُ و هي عطاء الفطرة الذي لا تكلف فيه و لا صنعة و لا احتراف و هو صفة النفوس الخيرة و خلة الأبرار الأخيار من الرجال و النساء وقيل الفرق بين المحبة المودة فالحب هو المؤثر والمودةهو أثر للحب

[أ] رواه أبو داود والترمذ

المحبة لابد من ورآها المودة علامة الحب هو المودةإذن الحب صفة نفسية عاطفة قلبية وأما المودة فهي أثر سلوكي أثر عملي متفرع على الحب(من الناس)اسم للجمع من بني آدم واحده إِنْسَانٌ من غير لفظه وقد يراد به الفُضلاء دون غيرهم مراعاةً لمعنى الإِنسانيّة وفي التنزيل وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ[1] (لان صاحب التقوى يعظمه الاصاغر) هم من دون الأكابر في السن أو القدر أو في كل منهما (ويهابه)اي يحترمه (الاكابر) اي عظماء وشرفاء (ويراه كل عاقل) هو من يعتمد على عمله و يغلق فمه قبل ان يغلق الناس آذانهم و الجاهل يعتمد على أمله(انه) اي صاحب التقوى الاولى بالبر)معنى البِرّ لغة البِرّ الصِّدق والطَّاعة والخير والفضل وبَرَّ يَبَرُّ إذا صَلَحَ وبَرَّ في يمينه يَبَرُّ إذا صدَّقه ولم يحنث وبَرَّ رحمه يَبَرُّ إذا وصله ويقال فلان يَبَرُّ ربَّه ويتبرَّره أي يطيعه ورجل بَرٌّ بذي قرابته وبارٌّ من قوم بررة وأبرار والمصدر البِرُّ والبَرُّ الصَّادق أو التقي وهو خلاف الفاجر والبِرُّ ضدُّ العقوق وبَرِرْتُ والدي بالكسر أَبَرُّهُ بِرًّا وقد بَرَّ والده يَبَرُّه ويَبِرُّه بِرًّا وهو بَرٌّ به وبارٌّ وجمع البرِّ الأبرار وجمع البارِّ البررة

واصطلاحًا قال المناوي البِرُّ بالكسر أي التوسُّع في فعل الخير والفعل المرضِي الذي هو في تزكية النَّفس يقال بَرَّ العبدُ ربَّه أي توسَّع في طاعته وبِرُّ الوالد التَّوسع في الإحسان إليه وتحرِّي محابِّه وتوقِّي مكارهِه والرِّفقُ به وضدُّه العقوق ويستعمل البِرُّ في الصِّدق لكونه بعض الخير المتوسَّع فيه قال القاضي المهدي والبِرُّ هو الصلة وإسداء المعروف والمبالغة في الإحسان

---

[1] البقرة آية ١٣

(والاحسان)فإن الإحسان مشتق من الحُسن الذي هو الجمال والبهاء لكل ما يصدر من العبد من خطرات ونبرات وتصرفات وهو أعلى مقامات الرفعة الإنسانية والمفتاح السحري لكل أزماتها وجسر سعادتها الأبدية وكفى الإحسان شرفا أن البشرية جمعاء اتفقت على حبه ومدحه وأجمعت على كره ضده من كافة صنوف الإساءة ولذلك أولى الإسلام الإحسان عناية بالغة وجعله أسمى هدف تصبو إليه نفوس العابدين وهو طريق الوصول لمحبة الله تعالى ومعيته ورحمته، بل ورؤيته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم في جنة الخلد في مقعد صدق عند مليك مقتدرومن أبلغ الأقوال في الإحسان قول من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ[أ] ففي هذه الكلمات النبوية النبوية الجامعة من مقتضيات المراقبة والخشية والإنابة والإتقان والاتباع وصفاء السريرة ما فيه صلاح الدنيا والآخرة فبيَّن صلى الله عليه وسلم أن الإحسان على مرتبتين متفاوتتين أعلاهما عبادة الله كأنك تراه وهذا مقام المشاهدة وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله تعالى بقلبه حيث يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان وهذا هو حقيقة مقام الإحسان ولذلك لما خطب عروة إِلَى ابن عمر ابنته وهما في الطواف لم يجبه بشيء ثم رآه بعد ذلك فاعتذر إِلَيْهِ وقال كنا في الطواف نتخايل الله بين أعيننا[ب]

[أ] البخاري ومسلم

[ب] أبو نعيم الحلية

الثاني   مقام المراقبة وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله تعالى وإرادته بالعمل قال الحارث المحاسبي أوائل المراقبة علم القلب بقرب الرب وقال بعض السَّلفمن عمل لله عَلَى المشاهدة فهو عارف ومن عمل عَلَى مشاهدة الله إياه فهو مخلص ويتفاوت أهل هذين المقامين بحسب نفوذ البصائر لذلك قال النووي رحمه الله وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين وكنز العارفين ودأب الصالحين وقالوا أيضا في الإحسان فعل الخيرات على أكمل وجه تحسين الظاهر والباطن الإتيان بغاية ما يمكن من تحسين العمل المأمور به ولا يترك شيئاً مما أمر به   امتلاء القلب بحقيقة الألوهية كأنه يشاهد الله عياناً مراعاة الخشوع والخضوع وبالجملة فالإحسان هو الذي خُلقنا من أجله قال تعالى الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ثم بيّن الحكمة فقال لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً[أ] والإحسان ذروة الأعمال وهو أن تقدم الفعل من غير عوض سابق بل يساء إليك ولا يسعك إلا أن تقدم الإحسان كما فعل يوسف الصديق عليه السلام يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ

[أ] الملك: ٢

شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ[أ] فعاملهم بالإحسان فلم يعبر لهم الرؤيا فقط فقط بل أعطاهم الحل معه فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ بل إن الذي يستلفت النظر في قصة يوسف عليه السلام كثرة تكرار صفة الإحسانفكان محسنا مع ربه ومع الناس وهما متلازمان- فقد سمى الله قصته نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ[ب] أي من أحسنه ورتب على الإحسان إيتاءه الحكم والعلم مع الشباب وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ[ت] ووصفه السجناء بذلك نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ[ث] وبه مكنه الله تعالى في الأرض وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ[ج] وقال له إخوته وهم لا يعرفونه قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ[ح]

وقال عن نفسه وأخيه} قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ[خ]

[أ] يوسف ٤٦-٤٨

[ب] يوسف٣

[ت] يوسف٢٢

[ث] يوسف٣٦

[ج] يوسف٥٦

[ح] يوسف٧٨

[خ] يوسف٩٠

ثم أثنى على ربه بإحسانه إليه وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ من بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [أ] فلم يذهب إحسانه سدى، فكل إحسان يفعله العبد حتى فيمن لا يستحقون لابد أن يكافئه عليه الله تعالى هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ [ب] فاصنع المعروف في أهله وفي غير أهله، فإن أهله فهو أهله، وإن لم يصادف أهله فأنت أهله والإحسان خير مكانة يتبوأها العبد لأنه إن أساء وسعه بعده الإيمان ثم الإسلام أما من يعيشون على الحد الأدنى للإسلام فهو مع النقص مهدد بكفر الاعتقاد أو كفر النعمةوخلق الإحسان يتسع ليشمل القول والعمل والعبادات والمعاملات .. فهو إكسير الحياة الذي يحيلها طيبة متآلفة، لذلك جعل الله تعالى رحمته ومحبته جائزة المحسنين وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [ت] إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ [ث] كما أن القلوب جبلت على حب من أحسن إليهاولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن [ج]

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم*** فطالما استعبد الإنسان إحسان

[أ] يوسف ١٠٠

[ب] الرحمن ٦٠

[ت] آل عمران: ١٣٤

[ث] الأعراف: ٥٦

[ج] الترمذي

وأعظم ثمرات الإحسان قوله تعالى لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ الحُسْنَى[أ] أي أي البالغة الحسن في كل شيء من جهة الكمال والجمال وهي الجنةوقد ثبت عن النبي في صحيح مسلم تفسير الزيادة المذكورة في هذه الآية الكريمة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم في الجنةولا يخفى ما بين هذا الجزاء وذلك الإحسان من المناسبة فالمحسنون الذين عبدوا الله كأنهم يرونه جزاهم على ذلك العمل النظر إليه عياناً في الآخرةهل جزاء الْإِحسانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ[ب] وعكس هذا ما أخبر الله به عن الكفار في الآخرة بقوله كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ[ت] لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِين أَحسنوا بِالْحسنى[ث] إن الإحسان هو الأمارة الدالة على الفوز والنجاة. فمن كان من أهل السعادة عَمِل عَمَل المحسنين ومن كان من أهل الشقاء عمل عمل المسيئين فهو طريقك وهدفك ومحل كدك ونصبك روى الطبراني عن أبي سلمة عن معاذ رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أوصني قال اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى واذكر الله عند كل حجر وعند كل شجر وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنةالسر بالسر والعلانية بالعلانية حسن لغيره (واما فى الاخرة)هي دار البقاء بعد الموت اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبدًا واعمل لآخِرتك كأنّك تموت غدا معناه ليس هو

[أ] يونس: ٢٦

[ب] الرحمن: ٦٠

[ت] المطففين: ١٥

[ث] النجم: ٣١

المتبادر إلى أذهان كثير من الناس من العناية بأمور الدنيا والتهاون بأمور الآخرةبل معناه على العكس وهو المبادرة والمسارعة في إنجاز أعمال الآخرة والتباطؤ في إنجاز أمور الدنيالأن قوله اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدايعني أن الشيء الذي لا ينقضي اليوم ينقضي غدا والذي لا ينقضي غدا ينقضي بعد غد فاعمل بتمهل وعدم تسرع لو فات اليوم فما يفوت اليوم يأتي غدا وهكذاأما الأخرة فاعمل لأخرتك كأنك تموت غدا أي بادر بالعمل ولا تتهاون وقدر كأنك تموت غدا لأن الإنسان لا يدري متى يأتيه الموت هذا هو معنى هذا القول المشهور لسيدنا علي رضي الله عنه فالنجاة من النار والفوز بدخول الجنة أسباب النجاة من النارفكما جعل الله سبحانه وتعإلى أسباباً للمغفرة والعفو والرضوان جعل أيضاً أعمالاً تنجي صاحبها من النارفمن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ[أ] وهذه بعض من هذه الأعمال من مات له ثلاثة من الولد وصبر عن واثلة قال قال رسول الله من دفن ثلاثة من الولد حرّم الله عليه النار[ب] ومن عال ثلاث بنات أو أخوات وأحسن إليهن و عن سيدة عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا كن له ستراً من النار[ت] و الذبّ والدفاع عن عرض المؤمن وهو غائب عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت قال رسول الله من ذبّ عن عرض أخيه

[أ] آل عمران: ١٨٥

[ب] رواه الطبراني

[ت] رواه البيهقي

بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار[أ] ومن صلى أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى عن أنس قال قال رسول الله من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق[ب] وحسن الخلق عن أبي هريرة قال قالرسول الله من كان سهلاً هيناً ليناً، حرمه الله على النار[ت] و المحافظة على صلاة الفجر والعصر عن عمارة بن رويبة قال قال رسول الله لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها[ث] وغبار الجهاد عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ما خالط قلب امرئ مسلم رهج في سبيل الله إلا حرّم الله عليه النار[ج] هو الغبار وكفى المتقين شرفا ان الله يقول فيهم (ان الله مع الذين اتقوا)اجتنبوا المعاصى ومعنى المعية الولاية والفضل (والذين هم محسنون)فى اعمالهم ويقال مع الذين اقتوا مكافاة المسيئ والذين هم محسنون الى من يعادى اليهم فالاحسان على الوجه الاول بمعنى جعل الشئ جميلا حسنا وعلى الاثنى ضد الاساءة وفى الحديث ان للمحسن ثلاث علامات يبادر فى طاعة الله ويجتنب بمحارم الله ويحسن الى ما اساء اليه[ح]

[أ] رواه أحمد

[ب] رواه الترمذي

[ت] رواه الحاكم

[ث] رواه مسلم

[ج] رواه أحمد

[ح] تفسر حقي

آداب المعلم

(آداب) جمع أدَب هو رياضة النَّفس بالتعليم والتَّهذيب على ما ينبغي (المعلم)اي من يتَّخِذ مهنة التعليم (دليل اي)المرشد (التلميذ)هو خادم الأُستاذ من أَهل العلم أَو الفن أَو الحرفة او طالب العلم (الى مايكون به كماله من العلوم)الدينيَّة كالفقه والحديث وغيرهما (والمعارف) هي من الأمور التي يقبلها العقل و طبيعة الإنسان كأمور خيريّة حسنة إذ أنَّ الجهل من الأمور التي لاتقبلها فطرة الإنسان و لا أن يقبلها العقل و طبيعة الإنسان بل و حتّى يحسّ الإنسان بشرورها و مذمّتها و لذلک يکون الجميع متخاضعين متواضعين أمام العلم و العالم إنَّ الله تبارک وتعالى يبيِّن لنا في سورة المجادلة في قوله تعالى يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْم درجات فيشترط ان يكون من ذوى الاوصاف المحمودة او وظائف المعلم المرشد فالأولى الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة كما أن الوالد سبب الوجود الحاضر الفاني والمراد معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاكه نعوذ بالله منه الثانية أن يقتدي بصاحب الشرع فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وإن كانت المنة لازمة لهم بل يرى الفضل لهم وثوابه في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا التعلم ما ثبت هذا الثواب فلا يطلب الأجر إلا من الله تعالى الثالثة

أن لا يدع من نصح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على أن يطلب العلوم للقرب إلى الله دون الرئاسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده . فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه فإن كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والأحكام فيمنعه من ذلك فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون الله وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فإذا تعلم الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار الخامسة أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير ذلك نقل محض وسماع بحت وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول : ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعليم في غيره وإن كان متكفلا بعلوم فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من

رتبة إلى رتبة السادسة أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ولا يلقي إليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله كما قيل كلموا الناس على قدر عقولهموأشار علي عليه السلام إلى صدره إن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة والسابعة أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقي إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله والثامنة أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله فإن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به[أ] (لان روح التلميذ) الرَّوح بالضم النفس وفي التهذيب قال أَبو بكرٍ بنُ الأَنبارِيّ الرُّوح والنَّفْسُ واحدٌ غير أَن الرُّوح مذكَّر والنَّفْس مُؤَنَّثة عند العرب وفي التنزيل وَيَسْأَلُونكَ عنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي[ب] بالنسبة الى روحه) لا شك أن كل إنسان يرغب بأن تكون شخصيته قوية(فاذا اتصف المعلم باوصاف الكمال) هي من أهم وسائل نجاح التلميذ(كان التلميذ الموفق)اي يلائم به ويَجعَل قدوة (كذالك)اوصاف الكمال (فاذان لابدان يكون) اي المعلم (تقيا) مَن يخاف الله ويمتثل لأوامره اوعابد متحنِّث (متواضعا)غَيْرُ مُتَكَبِّرٍ فالمسلم متواضع في غير مذلة ولا مهانة

[أ] الإحياء علوم الدين لامام الغزالي

[ب] تاج العروس

والمتعالون في الأرض يطبع الله على قلوبهم ويعمي أبصارهم فلا يستشعرون قدرة الله القاهرة فوقهم ولا ينتفعون بآيات الله الباهرة من حولهم يقول تعالى كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ[أ] وقال الشاعر

تواضع تكن كالبدر لاح لناظر   على صفحات الماء وهو رفيع

وقال آخر:

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة   فإن رفيع القوم من يتواضع

(لين الجانب) أي هادئ لطيف المعاشرة ناعم (لتميل القلوب فتستفيد منه)اي المعلم (وان يكون حليما)هو قمة في حسن الخلق إذا بلغ العبد مرحلة أن يكون حليماً فقد جمعت له كل عناصر حسن الخلق فقد بلغ مرحلة كمال الخلق الحسن وقد قال الإمام علي رضي الله عنه الحِلم سيد الأخلاق (وقورا)اي السُّكون والحِلْم والرَّزانة مصدر وَقَرَ يَقِرُ وَقارًا وَقِرَة إذا ثبت، فهو وَقُور ووَقار ومتوقِّر وأصل هذه المادَّة يدلُّ على ثِقَل في الشَّيء وفلان ذو قِرَة، أي وَقار ورجل موقَّر مجرَّب والتَّوقِير التَّعظيم والتَّرزين ومنه قول الله تعالى :مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للَّه وَقَاراً[ب] وأمّا قولك وقَّر الرَّجل أي بجَّلَه وعظَّمه ومنه قوله تعالى وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ[ت] معنى الوَقَار اصطلاحًا الوقار هو سكون النَّفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطَالب وقيل هو التَّأنِّي في التَّوجُّـــــــه نحــــــو المطالــــــب

وقيـل الوَقَـار هـو الإمْسَـاك عـن فضـول الكـلام والعبـث وكثـرة الإشـارة

[أ] سورة غافر ٣٥

[ب] نوح ١٣

[ت] الفتح: ٩.

والحركةفيما يُسْتَغنى عن التَّحرُّك فيه وقِلَّة الغَضَب والإصغاء عند الاستفهام والتَّوقُّف عن الجواب والتَّحفُّظ من التَّسرُّع (لتقتدى به) يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالةفمعتَصَمُ المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد بحيث يفوّض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في ورده ولا صدره، ولا يُبقي في متابعته شيئاً ولا يذر، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه- لو أخطأ أكثرمن نفعه في صواب نفسه لو أصاب فإذا وجد مثل هذا المعتَصَم وجب على معتَصَمِه أي شيخه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين(وان يكون ذا رحمة)هي رِقَّة في النفس تبعث على سوق الخير لمن تتعدى إليه (للتلاميذشفيقا اي)عَطْفاً وَحَنَاناً(عليهم لتعظم رغبتهم فيما يلقيه اليهم)تنبيه:أصناف الناس في تلقي العلم إن العلم ميراث الأنبياء، والعلماء ورثة الأنبياء والعلم حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ودليل الحائرين، وكفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ذمًّا أن يتبرأ منه من هو فيه ولقد بيَّن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أصناف الناس في تلقي العلم والهداية والاستفادة منهما في حديث شريف يعد درة من درر الهدي النبوي عَن أَبِي مُوسَ عَن النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله مِن الهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فكَانَ مِنهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَت الماَءَ فَأَنْبَتَت الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَت الماءَ فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا

وَزَرَعُوا, وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ[1] يشير الحديث الشريف إلى أن الناس يتفاوتون في الاستفادة من العلم والهدى حيث ضرب لذلك مثلا رائعا في نزول المطر على الأرض وانتفاعها به حيث شبهَ الْهُدَى والعلم الَّذِي جَاءَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَيْثِ, مصنفا الأَرْض ثَلاثَة أَنْوَاع وكذلك النَّاس في انتفاعهم بالعلم وذلك على النحو التالي النَّوع الأَوَّل مِن الأَرض ينتَفِع بِالمطر ويستفيد منه فيَحيا بعد أَن كان مَيِّتًا ,وَيُنبِتُ الْكَلأ والعشب فَينتفع به النَّاس والدَّواب والزَّرع وغيرها ,وكذلك النَّوع الأَوّل مِن النَّاس يبلُغه الهُدى والعِلم فيتلقاه ويحفظه ويفهمه فيحيا قلبهويعمل بِهِ ويعلّمه غيره فينتفِع وينفع وبالتالي فهو العالِم العامِل المعلِّم.وَالنَّوْع الثَّانِي مِن الأَرْض ما لا تقبل الانتفاع في نفسها ، ولكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها، فينتفع به الناس والدوابّ, وَكَذَلك النَّوع الثَّانِي مِن النَّاس لهم قلوب حافظةَ , لكن ليست لهم أفهام ثاقبة , ولا رسوخ في العقل فلا يستنبطون المعاني والأحكام ولا يجتهدون في تطبيقها فهم يتلقون العلم ويحفظونه حتى يأتي من يستفيد، فيأخذه منهم وينتفع به فَهؤُلاءِ اكتسبوا العلم ونفعوا به غيرهم وبالتالي فهم جامعون للعلم فينتفع الناس به

---

[1] رواه الشيخان واللفظ للبخاري

وَالنَّـوْعِ الثَّالِـث مِـن الأَرْض السِّبَاخ الَّتِي لا تُنْبِـتُ فَهِـيَ لا تنتفـع بالمـاء ولا تمسكه لينتفع به غيرها وكذلك النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لينفعوا به غيرهم وبالتالي فهم كمن يتلقى العلم فلا يعمل به ولا يحفظه ولا ينقله إلى غيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها (وان ينصحهم)قال الإمام الخطابي النصيحة هي كلمة جامعة معناها حيازة الخير للمنصوح له وأصل النصح في لغة العرب تقول نصحت العسل إذا خلّصته من الشمع وتقول نصحت له المحبة إذا أخلصت له المحبة فالنصيحة هي إرادة الخير بإخلاص للمنصوح له فالنصح من أعظم الخير وأجمل المعروف ولذلك فإنه مأمور به وواجب على لسان الشارع الحكيم واجب على الأمة كل بحسب طاقته، وواجب بالخصوص على العلماء المشهود لهم بالخير والعلم بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أئمتنا أئمة الفقه والحديث قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان فمن لم ينصح لهذه الأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالله تعالى وعده عذابا شديداً، وقال ابن كثير في الآية يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو الشر وترك المنكرات وهو التقوى وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم (ويؤدبهم فيحسن تأديبهم)عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّه ماصلى اللّه عليه وسلم إن اللّه أدبني فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق ، فقال خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ(وان لايكلفهم)بما لايطيقونهم (من المعانى

)جمع المعنى هو المفهوم المقصود باللفظ وبالشيء عموما (ماتقصر)اي ضعف (عنه)اي ما (ادركاتهم)اي فهمهم وتصورهم والله اعلم

آداب المتعلم

(للمتعلم)تعلَّمَ يتعلَّم تعلُّمًا فهو مُتعلِّم وهو من من عرف كثيرا عن الآخرين والذكي هو من فهم نفسه القوي هم من تحكم في الآخرين، أما الأقوى فهو من امتلك زمام الأمور(اداب فى نفسه) ابدأ بنفسك وقال تعالى في كتابه الكريم أتأمرون النّاس بالبرِّ وتنسونَ أنفسكم وفي الحديث الصحيح الذي رواه ابن حِبّان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال الرسول عليه الصلاة والسلام يُبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه والقذى هو عبارة عن الأجسام الصغيرة من التراب أو غيره والتي تقع في الماء ولا تكاد ترى إلا بتدقيق النظر فيها والمقصود بذلك هو أن بعض الناس ينشغل بعيوب وأخطاء غيره، والتي قد تكون أقل وأصغر بكثير من عيوبه وأخطائه وينسى نفسه (واداب مع استاذه)معناها الماهر بالشيء العظيم هي كلمة أعجمية دخيلة على اللغة العربية ولم ترد في الشعر الذي يحتج به وذكروا أنه لا يستحق أن يلقب بها إلا من جمع ثمانية عشر علما أو اثني عشر علما منها النحو والصرف والبيان والبديع والمعاني والآداب والمنطق والكلام والهيئة وأصول الفقه والتفسير والحديث وذكر أن أول من لقب به هو كافور الإخشيدي الإسفراييني و استخدمتها

العامة فيما بعد على مؤدب الصغار وتطلق كذلك على المعظَّم في أي أمر يقال هو أستاذ فيه بمعنى أنه ماهر فيه متقن له (واداب مع اخوانه)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه[أ]

والأخوة الإسلامية شجرة وارفة الظلال يستظل بفيئها من أراد السعادة إنها شجرة تؤتي أكلها كل حين شهيّة ثمارها طيّبة ريحها تأوي إليها النفوس الظمأى لترتوي منها معاني الود والمحبة والألفة والرحمة إنها ليست مجرد علاقة شخصية ولكنها رابطة متينة ، قائمة على أساس من التقوى وحسن الخلق (اما ادابه فى نفسه فكثيرة : منها) اي كثيرة (ترك العجب)من امتحن بالعُجْب فليفكّر في عيوبه (ومنها التواضع)وقال الشاعر

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيعُ
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيعُ

وقال كعب الأحبارم ا أنعم الله على عبدٍ من نعمةٍ في الدنيا شكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفعه بها درجة في الآخرة

[أ]رواه مسلم

(والصدق)قد أمر الله عباده المؤمنين بلزوم الصدق وصحبة الصادقين يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ كونوا مع الذين صدقوا الله في إيمانه به مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ (ليكون محبوبا) صَارَ قَرِيباً عِنْدَ النَّاسِ يَوَدُّونَهُ وَيُحِبُّونَهُ (موثوقابه)يُعْتَمَدُ عَلَى شَهَادَتِهِ ، يُؤْخَذُ بِهَا.(ومنها ان يكون وقورا فى مشيته)يذكر الإمام النووي رحمه الله في رياض الصالحين باب الوقار والسكينة ضمن الآداب والأخلاق التي ينبغي على المسلم أن يتخلق بها والوقار أصلها من القر ويقر الشيء بمعنى يثبت مكانه وكأن المقصد أن المؤمن يكون حاله فيه الوقار والسكينة وعدم الرعونة والتهور والاندفاع فيكون وقوراً في جلوسه وقيامه ومشيه من غير تكلف أو تصنع أو رياء قال الله عز وجل وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا[أ] فذكر الله عز وجل من صفات عباد الرحمن صفات جميلة وجليلة بدأها بأنهم: الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هونا[ب] أي بوقار وسكينة فهم هينون في مشيهم يتصفون بالوقار والتؤدة والطمأنينة، فليسوا مندفعين، والمقصد أن التواضع من صفاتهم سواء مشوا على الأرض وهم مبطئون أو مشوا مسرعين فالإنسان لا يستطيع أن يمشي دائماً بطيئاً في مشيته أو سريعاً ولكن بحسب حاجته وحاله فقد يحتاج إلى الشيء فيسرع وقد يجري من أجله وقد يمشي ولكن في

[أ] الفرقان:٦٣

[ب] الفرقان:٦٣

كل الأحوال لا يوجد فيه أي نوع من الكبر(غاضا طرفه عن النظر الى المحرمات)أن النظر إلى المحرمات يورث الحسرات والزفرات، والألم الشديدفيرى العبد ما ليس قادرا عليه ولا صابرا عنه وهذا من أعظم العذاب كما قيل

يا راميا بسهام اللحظ مجتهدا   أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له   احبس رسولك لا يأتيك بالعطب

فمن عقوبات النظر إلى المحرمات فساد القلب فالنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية فإن لم تقتله جرحته فهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه و نسيان العلم فقد نسي أحد العباد القرآن بسبب نظرة إلى غلام نصراني و نزول البلاء قال عمرو بن مرة نظرت إلى امرأة فأعجبتني فكف بصري فأرجو أن يكون ذلك جزائيو إبطال الطاعات فعن حذيفة قال من تأمل خلق امرأة من وراء الثياب فقد أبطل صومه و الغفلة عن الله والدار الآخرة فإن القلب إذا شغل بالمحرمات أورثه ذلك كسلا عن ذكر الله وملازمة الطاعات و إهدار الشارع عين من تعمد النظر في بيوت الناس متجسسا فعن أبي هريرة قال قال رسول الله لو اطلع أحد في بيتك ولم تأذن له، فخذفته بحصاة ففقأت عينهما كان عليك جناح([1] وان يكون امينا)اي الحافظ الحارس الَّذِي يُوثَقُ بِهِ(على ما اوتيه من العلم فلايجيب بغير مايعرف)روي عن سحنون بن سعيد أنه قال أجرأ الناس على الفُتيا أقلّهم علمًا يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أنّ الحق كله فيه وقول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا يقبض

---

[1] متفق عليه

العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوامن أجل ذلك كثر النقل عن السلف إذا سئل أحدهم عما لا يعلم أن يقول للسائل لا أدري (واما ادابه مع استاذه فمنها ان يعتقد ان فضله اكبر من فضل والديه عليه لانه يربى روحه)قال تعالى يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ[أ] بل يذكر الغزالي رحمه الله في الإحياء أن حق المعلم أعظم من حق الوالدين لأن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية، فهو معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة و يقول الشاعر قم للمعلم وفه تبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا(ومنها الخضوع) اي التواضُع (امامه), والجلوس فى درسه بالادب)إما أن يكون متربعاً وإما أن يكون جاثياً على ركبتيه وهذا الأدب أُخذ من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد ما الإسلام الحديث (وحسن الاصغاء) اي الاستماع (الى مايقوله)من العلوم (ومنها ترك المزاح)قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله اتقوا المزاح فإنه حمقة تورث الضغينة و قال الإمام النووي رحمه الله المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه فإنه يورث الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله تعالى ويؤول في كثير

[أ] المجادلةالآية ١١

من الأوقات إلى الإيذاء ويورث الأحقاد ويسقط المهابة والوقار فأما من سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله(وان لايمدح غيره من العلماء بحضرته مخافة ان يفهم استاذه انه يذمه)المدح هو الإعجاب بالشيء وذكر ميزته الإيجابيةو الذم هو احتقار الشيء وذكر ميزته السلبية (ومنها ان لايصده)لا يمنعه (الحياء عن السؤال عما لايعرف) فقال فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ[أ] وفي حديث ابن ابن عباس قال أصاب رجلاً جرحٌ في عهد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثم احتلم فأُمِرَ بالاغتسالِ فاغتسل فمات فبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه قتلهم اللهُ ألَمَ يكنْ شفاءُ العِيِّ السؤالَ وقال ابن شهاب الزهريُّ العلم خزانةٌ ومفاتيحُها السؤالُ ودعا معاوية بن أبي سفيان دغفلاً النسابة فسأله عن العربية، وسأله عن النجوم فإذا رجلٌ عالم فقال يا دغفلُ من أين حفظتَ هذا قال حفظتُ هذا بقلب عقولٍ ولسان سؤولٍ وقالت عائشةنِعم النساءُ نساءُ الأنصار لم يمنَعْهن الحياءُ أن يتفقَّهن في الدين(واما ادابه مع اخوانه فمنها احترامهم)وُجوب احتِرام المسلم أمرٌ معروفٌ معلومٌ وما نُذَكِّر به إلا لأنَّ ضَيْمًا دخَل على هذا المعنى من قِبَلِ زُمرةٍ من الناس يتكلّمون باسم الدِّين ويدَّعون أنهم من العلماء وهم زُمرَة قليلةولكنَّهم موجودونلا يرون أحدا جديرا بالاحترام إلا إنْ كان في بيئتهم ويردِّد أقوالَهم، ويُفسِّقون ويُكفِّرون بغير دليلٍ ولا بُرهان فقال تبارك وتعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ

[أ] النحل الآية ٤٣

الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ[أ]

واحترام المسلم يقتضي ألاَّ يَتكبَّر عليه أخوه المسلم ، فقد قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((لا يَدخُل الجنَّة مَن كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كبرٍ))، فقال رجل: إنَّ الرجل يحبُّ أنْ يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، فقال – صلَّى الله عليه وسلَّم –: ((إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكبرُ بطَر الحقِّ وغمْط الناس(وترك احتقار)اي اسْتِصْغَارٍ (واحد منهم وترك الاستعلاء) اي التكبر(عليهم ومنها : ان لايسخربيطئ الفهم منهم وان لايفرح اذا وبخ الاستاذ بعض القاصرين. فان ذلك اسباب البغض) هو نفور النَّفس عن الشَّيء الذي يرغب عنه (والعداوة) اي تباعد القلوب

تنبيه

وللشيخ العالم برهان الإسلام الزرنوجي تلميذ صاحب الهداية كتاب سماه تعليم المتعلم طريق التعلم وجعله فصولا قال فيه إنه لا يفترض على كل مسلم طلب كل علم وإنما يفترض عليه طلب علم الحال أي علم ما يقع له في حاله من الصلاة والزكاة والصوم والحج . ولا بد له من النية في زمان تعلم العلم لقوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وينوي بطلب العلم رضاء الله تعالى والدار الآخرة وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال وإحياء الدين وإبقاء الإسلام فإن بقاء الإسلام بالعلم ولا يصح الزهد

[أ] الحجرات ١١-١٢

والتقوى مع الجهل ولا ينوي به إقبال الناس إليه ولا استجلاب حطام الدنيا والكرامة عند السلطان وغيره ولا يذل نفسه بالطمع ويتحرز عما فيه مذلة العلم وأهله . ويختار من كل علم أحسنه ويقدم علم التوحيد والمعرفة وإن كان إيمان المقلد صحيحا ويختار العتيق دون المحدثات ولا يشتغل بهذا الجدل الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء وأما اختيار الأستاذ فيختار الأعلم والأورع والأسن والمشاورة في طلب العلم أهم وأوجب وينبغي أن يثبت ويصبر على أستاذ وعلى كتاب حتى لا يتركه أبتر وعلى فن حتى لا يشتغل بفن آخر قبل أن يتقن الأول وعلى بلد حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة ولا ينال ولا ينتفع به إلا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره ولا بد لطالب العلم من الجد والمواظبة والملازمة وإليه الإشارة في القرآن الكريم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و يا يحيى خذ الكتاب بقوة قيل : اتخذ الليل جملا تدرك به أملاويواظب على الدرس والتكرار في أول الليل وآخره فإن ما بين العشاءين ووقت السحر وقت مبارك والكسل من قلة التأمل في مناقب العلم وفضائله والعلم النافع يحصل به حسن الذكر ويبقى ذلك بعد وفاته فإنه حياة أبدية . ويوقف بداية السبق على يوم الأربعاء وهكذا كان فعل أبو حنيفة رحمه الله بل كان الشيخ أبو يوسف الهمداني يوقف كل عمل من أعمال الخير على يوم الأربعاء وهذا لأنه يوم خلق فيه النور وهو يوم نحس في حق الكفار فيكون مباركا للمؤمنين . وينبغي أن يكون قدر السبق للمبتدئ قدر ما يمكن ضبطه بالإعادة مرتين بالرفق ويزيد كل يوم كلمة وقد قيل السبق حرف والتكرار ألف

قال الأستاذ شرف الدين العقيلي الصواب عندي في هذا ما فعله مشائخنا وإنهم كانوا يختارون للمبتدئ صغارات المبسوط لأنه أقرب إلى الفهم والضبط وأبعد عن الملالة وأكثر وقوعا بين الناس قيل : حفظ حرفين خير من سماع وقرين وفهم حرفين خير من حفظ وقرين . فينبغي أن لا يتهاون في الفهم ولا بد من المذاكرة والمناظرة والمطارحة لكن بالإنصاف والتأني والتأمل دون الشغب والغضب وهي أقوى من فائدة مجرد التكرار قيل مطارحة ساعة خير من تكرار شهرويشتري بالمال الكتب ويستكتب فيكون عونا على التعلم والتفقه وينبغي أن لا يكون لطالب العلم فترة فإنها آفة ويتوكل في طلب العلم ولا يهتم لأمر الرزق ولا يشغل قلبه بذلك ووقت التعلم من المهد إلى اللحد دخل حسن بن زياد في التفقه وهو ابن ثمانين سنة وأفضل الأوقات شرخ الشباب ووقت السحر وما بين العشاءين . وينبغي أن يستغرق جميع أوقاته فإذا مل من علم يشتغل بعلم آخر . كان ابن عباس إذا مل من علم الكلام قال هاتوا ديوان الشعر ويكون مستفيدا في كل وقت حتى يحصل له الفضل وطريق الاستفادة أن يكون معه في كل وقت محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوائد قيل ما حفظ فر وما كتب قر وأقوى أسباب الحفظ الجد والمواظبة وتقليل الغذاء وصلاة الليل وقراءة القرآن نظرا والسواك وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل ما يقلل البلغم والرطوبات يزيد في الحفظ وكل ما يزيد في البلغم يورث النسيان ومن أسبابه اقتراف المعاصي وكثرة الذنوب والهموم والأحزان في أمور الدنيا وكثرة الأشغال والعلائق وأما أسباب نسيان العلم فأكل الكسبرة الرطبة وأكل التفاح الحامض والنظر إلى المصلوب وقراءة ألواح القبور والمرور بين قطار

الجمال وإلقاء القمل على الأرض والحجامة على نقرة القفا كلها تورث النسيان وارتكاب الذنب سبب حرمان الرزق خصوصا الكذب يورث الفقر وكذا نوم الصبح وكثرة النوم تورث فقد العلم إلى غير ذلك ومما يزيد في الرزق التسبيح بعد الفجر وبعد المغرب ومما يزيد في العمر البر وترك الأذى وتوقير الشيوخ وصلة الرحم والاحتراز عن قطع الأشجار الرطبة إلا عند الضرورة وإسباغ الوضوء والصلاة بالتعظيم والخشوع والقرآن بين الحج والعمرة وحفظ الصحة ولا بد أن يتعلم شيئا من الطب ويتبرك بالآثار الواردة في الطب الذي جمعه الشيخ الإمام أبو العباس المستغفري في كتابه المسمى بطب النبي صلى الله عليه وسلم يجده من يطلبه هذا خلاصة ما ذكره الزرنوجي رحمه الله والله اعلم

حقوق الوالدين

(حقوق)جمع حَقّ هو الواجب الثابت (الوالدين))

(الوالدان)اي الأب والأمّ (هما السبب)هو كل شيء يتوصل به إِلى غيره (فى وجود الانسان)ولهما عليه البر والاحسان الوالد بالانفاق والوالدة بالولادة والاشفاق فلله سبحانه نعمة الخلق والايجاد ومن بعد ذلك للوالدين نعمة التربية والايلاد (لولاعناؤهما)اي تعبهما(ما) النّافية(استراح)اي ما اطمأن (ولولا سقاؤهما)اي عسرهما (ماتنعما)ما طَابَ عَيْشُهُ (اما امه فحملته كرها) اي مشقة وجاء رجل إلى ابن عباس فقا إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه فغرت عليها فقتلتها فهل لي من

توبة قال أمك حية قال لا قال تب إلى الله عز وجل، وتقرب إليه ما استطعت فذهب، قال الراوي فسألت ابن عباس لم سألته عن حياة أمه فقال إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة رواه البخاري في الأدب المفرد، وإسناده على شرط الشيخين أنَّ الأُمَّ بابٌ من أبواب الجنة عريضٌ لا يفرِّط فيه إلاَّ مَن حَرَم نفسَه وبخس من الخير حظَّه وقد تردَّد معاوية بن جَاهِمَة السُّلَمِيِّ رضي الله عنه على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ثلاثَ مرَّات يسأله الجهاد، وفي كل مرة يقول له وَيْحَكَ! أحَيَّة أُمُّك قال نعم يا رسول الله قال وَيْحَكَ الْزَمْ رِجْلَها فَثَمَّ الجنةُ رواه ابن ماجه وفي رواية لأحمد قال الْزَمْها فإن الجنة عند رِجْلِها وأخذَ منه بعضُ الصالحين تقبيلَ رِجْل الأُمِّ فكان يقبِّل قَدَم أُمِّه كلَّ يوم فأبطأ على إخوانه يومًا فسألوه فقال كنتُ أتمرَّغ في رياض الجنة فقد بلغَنا أنَّ الجنَّة تحت أقدام الأُمَّهاولَمَّا ماتتْ أم القاضي إياس بكى فقيل ما يُبكيك يا أبا واثلة قال كان لي بابان مفتوحان من الجنة، فأُغْلق أحدهم (واما ابوه فقد بذل وسعه فيما يعود اليه بالنفع من تربية)أَيْ تَهْذِيبُهُ وَتَعْلِيمُهُ وَتَنْشِئَتُهُ (جسمه)اي جسدالانسان(وروحه)اي نفسه ما به حياةُ الأجسام (يذكّر ويؤنّث) إن المجاهدين قد باعوا أرواحهم واشتروا الجنة وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِن أَمرِ ربِّي.(فيجب عليه ان يذكر)اي يستحضر في ذهنه (نعمتهما) فى طيب العيش (ليشكرهماعليها)فالشكر من أهم الأعمال الصالحات التي يتقرب بها العبد المسلم إلى نيل رضا ربه سبحانه وتعالى ومنزله في الدين عظمية فهو نصف الإيمان فالإيمان نصفان الصبر نصف، والشكر نصف فعن أنسرضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلميا أنس الإيمان نصفان نصف شكر

ونصف صبفلا شك أن له منزله عظيمة، وأنه من أهم أعمال القلوب, و شكر عليهما هو اسْتِفْراغُ الطاقةِ يعني في الخدمةِ (وان يمتثل) اي يُطيع (امرهما الا اذا كان بمعصية)على مخالفة الأوامر الإلهيَّة وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف(وان يجلس معهما خاشعا غاضا طرفه)اي كَفَّهُ بَصَرِهِ (عن زلتهما)اي عثرهمااوانحرف بما لم يقصدان (وان لايؤذيهما)اي أصابهما ألم أو ضرر (ولوبقول اف)هولفظة تُقال عند استقذار شيءٍ والتضجّر والتقزّز منه (وان لايطيل)اي يعتدي(جداهما)هو مقابلة الحجة بالحجةاو طريقة في المناقشة والاستدلال(وان لايمشى امامهما الا فى خذمتهما)خاصة عند الكبر وحاجتهما إلى المساعدة في أداء ما يحتاجون إليه (وان يدعولهما بالرحمة)اي الفضل والمنّ والنّعمة التي يسوقها الله تعالى لهما (والمغفرة)هى أن يُسامِح لهما اللّه على الذَنوب وان يأمرهما)والأمر لا يكون إلا بالنطق (بالمعروف)لكلِّ فِعْلٍ يُعْرَفَ حُسْنُه بالعَقْل أَو الشَّرْع (وينهاهما)اي يمنع هما (عن المنكر) هوكلُّ ما تحكم العقولُ الصحيحةُ بقُبْحِه أَو يُقَبِّحُه الشَّرْعُ أَو يُحرِّمه أَو يكرهُه (ليكون سببا)اي وسيلة(فى نجاتهما من النار كما كانا سببا فى وجوده)وهو بضعة منهما (قال الله تعلى وقضى ربك ان لاتعبد الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احد هما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناحا الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا[أ])وقال الشيخ ابن عجيبة في تفسير البحر

[أ] الإسراء٢٢-٢٤

المديد قلت قضى هنا بمعنى حكم وأوجب وأمر لا بمعنى القضاء؛ إذ لو كان كذلك لما عُبد غير الله وفي مصحف ابن مسعود ووصى ربك ألا تعبدوا و أن مفسرة أو مصدرية، أي بأن لا تعبدوا و إما إن الشرطية دخلت عليها ما المؤكدة. وفلا تقل جوابها وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما سبق مع أن ما سبق ضمير الجمع للاحتراز عن التباس المراد، فإنَّ المقصود نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع، أو بالتثنية، لم يحصل هذا المرام

و أفٌّ اسم فعل معناها قول مكروهُ يقال عند الضجر ونحوه. قال الهروي أي لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم، ويقال لكل ما يضجر منه ويستثقل أُفّ لَهُ. وقال في القاموس أَفّ يَؤُفُّ ويَئِفُّ تأففَ من كَرْبٍ أَوْ ضَجَر وأُفّ كلمة تكرهوأفف تأفِيفًاوتَأَفَّفَ قالها ولغتها أربعون ثم ذكرها وحركتها للبناء وتنوينها للتنكير

يقول الحقّ جلّ جلاله وقضى ربُّك أَمر أَمْرًا مقطوعًا به، بـ ألاَّ تعبدوا إِلا إِياه لأن غاية التعظيم لا يكون إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام، وهو الله وحده، وأحسنوابالوالدين إِحسانًا لأنهما السبب الظاهر في وجود العبد، وبهما قامت نعمة الإمداد من التربية والحفظ في مظاهر الحكمة، وإلاَّ فما ثَمَّ إلا تربية الحق تعالى، ظهرت في مظاهر الوالدين، لكن أمر بشكر الواسطة؛ من لم يشكر الناس لم يشكر الله

ثم أمر ببرهما فقال إِما يبلغنَّ عندك الكبَرَ أحدُهما أو كلاهما أي مهما بلغ زمن الكِبَرِ وهما عندك في كفالتك هما أو أحدهما فلا تقلْ لهما أُفٍّ أي فلا تضجر فيما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنتهما ولا تنطق بأدنى كلمة

توجعهما فأحرى ألا يقول لهما ما فوق ذلك فالنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الإيذاء؛ قياسًا بطريق الأخرى وقال في الإحياء الأُفّ وسخ الظفر والتف وسخ الأذن أي لا تصفهما بما تحت الظفر من الوسخ فأحرى غيره وقيل لا تتأ ّهما كما يتأذى بما تحت الظفر هـ ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ، فإن كان لإرشاد ديني فبرفق ولين. وقل لهما قولاً كريمًا جميلاً لينًا لا غلظ فيه واخفض لهما جناحَ الذل أَلِنْ لهما جانبك الذليل وتذلل لهما وتواضع. استعار للذل جناحًا، وأضافه إليه؛ مبالغة؛ فإنَّ الطير إذا تذلل أرخى جناحه إلى الأرض، كذلك الولد، ينبغي أن يخضع لأبويه ويلين جانبه ويتذلل لهما غاية جهده وذلك مِنَ الرحمة أي من إفراط الرحمة لهما والرقة والشفقة عليهما وقل ربِّ ارحمهما أي وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية، ولا تكتف برحمتك الفانية، وإن كانا كافرين؛ لأن من الرحمة أن يهديهما للإسلام، فقل اللهم ارحمهما كما ربياني صغيراً أي رحمة مثل رحمتهما عليّ وتربيتهما وإرشادهما لي في صغري، وفاء بعهدك للراحمين. فالكاف في محل نصب؛ على أنه نعت لمصدر محذوف أي رحمة مثل تربيتهما أو مثل رحمتهما لي على أن التربية رحمة. ويجوز أن يكون لهما الرحمة والتربية معًا، وقد ذكر أحدهما في أحد الجانبين والآخر في الآخر، كما يلوح له التعرض لعنوان الربوبية، كأنه قيل رب ارحمهما، وربِّهما كما ربياني صغيرا. ويجوز أن يكون الكاف للتعليل كقوله وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ[1]

---

[1] البقرة: ١٩٨

ولقد بالغ الحق تعالى في التوصية بالوالدين حيث شفع الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بعبادته، ثم ضيق في برهما حتى لم يُرخص في أدنى كلمة تتفلت من المتضجر، وختمها بأن جعل رحمته التي وسعت كلَّ شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رِضَا اللهِ في رضا الوَالِدَين وَسَخَطُهُ في سَخَطِهِمَا وروي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبَويَّ بَلَغَا مِنْ الكِبَر إلى أنِّ ألي منهما ما وَلَيَا مِنِّي في الصغر، فهل قضيتهما حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك، وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وروي أن شيخا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن ابني هذا له مال كثير، ولا ينفق عليّ من ماله شيئًا، فنزل جبريل وقال إن هذا الشيخ أنشأ في ابنه أبياتًا، ما قُرِعَ سَمْعٌ بمثلها، فاستنشدها، فأنشدها الشيخ فقال

غَذَوْتُك مَوْلُودًا ومُنْتُك يَافعًا	تُعلُّ بما أُجْرِي عليك وتَنْهَلُ
إذَا لَيْلةٌ ضَافَتْك بالسُّقْمِ لَم أَبِتْ	لسُقْمِكَ إلا باكِيًا أَتَمَلْمَلُ
كَأَنِّي أنا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بالذي	طُرِقتَ به دُونى وعَيْنِي تَمْهَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السّنَّ والغَايَةَ الَّتي	إلَيْها مَدَى مَا كُنْتُ فيك أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جزَائي غلْظَةً وفَظَاظَةً	كأنّك أنتَ المْنعمُ الْمُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إذ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبوَّتي	فَعَلْتَ كَمَا الجَارُ المجاورُ يَفْعَلُ

ومن تمام برهما زيارتهما بعد موتهما والدعاء لهماوالتصدق عليهما ففي الحديث إنما الميت في قبره كالغريق، ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديقه فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيه وروى مالك في الموطأ عن سعيد بن المسيب أنه قال كان يقال إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده، وأشار بيده نحو السماء وهو مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أبي هريرة قال إن الله ليرفع العبد الدرجة فيقول يا رب

فيقول باستغفار ابنك لك وسأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم هل بقي

نعم الصلاة عليهما أي

الترحم والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا

هذاهو كَلِمَةٌ مُرَكَّبَةٌ مِنْ هَاءِ التَّنْبِيهِ وَاِسْمِ

الإِشَارَةِ ذَا اي تَنْبِيهٌ (وليخص الام بزيادة البر لقول النبى صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الوالد ضعفان) و قال صلى الله عليه و سلم الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله و لم ذاك قال هى ارحم من الاب و دعوة الرحيم لاتسقط و قال ابن عباس رضي الله عنهما إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله من بر الوالدة

الله فاعلَها بالعذاب الشديد في النار ومعنى العقوق أن يؤذيَ والديه أذًى

ومع ذلك فإيذاء الوالدين سواء كان أذًى شديدًا أو خفيفًا فهو حرام. ومن الأمثلة على العقوق شتمُ الأم أو الأبِ أو ضربُ الأم أو الأبِ أو إهانتهما أو أحدهماومن جملة العقوق أن يطيع الولد أمه على ظلم أبيه أو يطيع الولد أباه على ظلم أمه ولا ينفعه عند الله تعالى إن أطاع أمه وظلم

الأداء يسر الله له ما يؤدي من فضله لحسن نيته فإن مات قبل الأداء أرضى الله غريمه، ومن أخذ من أموال الناس شيئا يعتزم إتلافه على صاحبه وعدم رده أتلفه الله من يده وأضاعه منه فلا ينتفع به، لسوء نيته، ويبقى عليه الدين يعاقب به يوم القيامة، وقد ورد من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه، وأرضى غريمه بما شاء، ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتضى الله لغريمه منه يوم القيامة وفي رواية فيؤخذ من حسناته فتجعل في حسنات الآخر فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فتجعل عليه والنبي يقول من كان له عند أخيه مظلمة من مال أو عرض فليتحلل منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم، ان كان له حسنات أخذ من حسناته، وان قضيت الحسنات قبل ان يقضي عليه أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه (وان تعوده اذا مرض)عيادة المريض وهي زيارة المريض، فينبغي للمسلم أن يعود أخاه المسلم إذا مرض، إذا علم بمرضه ينبغي له أن يعوده، وإذا عاده يلتزم آداب العيادة فيخفف الزيارة ولا يثقل ويدعو له فيضع يده على موضع الألم يقول: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، يدعو له لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يفعل ذلك فينبغي له أن يزور أخاه ويكسب الأجر مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم و حقُّ أخيك عليك أن تعوده إذا مرض (وتهنئه اذا فرح لتهنئة)آداب منها إظهار الفرح والإهتمام في مناسبة التهنئةوالتلفظ في المناسبة بعبارات لطيفة وأدعية مأثورة

والسنة النبوية أرشدتنا إلى كلمات بالتهنئة لطيفة وجمل من الدعاء رقيقة وطريفة على المسلم أن يتعلمها ويحسن أدائها ليقوم على تطبيقها في الوقت المناسب ومن تلك الألفاظ تهنئة من ولد له مولوديستحب أن يقال له بورك لك بالموهوب وشكرت الواهب ورزقت بره وبلغ أشده ويستحب أن يرد المُهَنَئ فيقول بارك الله لك وبارك عليك ورزقك مثلهوتهنئة لمن قدم من سفر

يستحب أن يقال له الحمد لله الذي سلمك وجمع الشمل وأكرمك وتهنئة لمن قدم من حج يستحب أن يقال له: قَبِلَ الله حجك وغفر ذنبك وأخلف نفقتك وذلك لما روى ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء غلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال إني أريد الحج فمشى معه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا غلام زودك الله التقوى ووجهك في الخير وكفاك الهم فلما رجع الغلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا غلام قبل الله حجك وغفر ذنبك وأخلف نفقتك وتهنئة عقد النكاح يستحب أن يقال لكل من الزوجين بعد النكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خيرلما روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رفأ الإنسان أي إذا تزوج قال بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خيرويكره أن يقال له بالرِّفاء والبنين لأن ذلك من تهاني الجاهلية روى أحمد والنسائي وغيرهماعن عقيل بن أبي طالب أنه تزوج امرأة من جشم ، فدخل عليه القوم فقالوا بالرفاء والبنين فقال لا تفعلوا ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن ذلك قالوا فما نقول يا أبا زيد؟ قال : قولوا : بارك الله لكم وبارك

عليكم ، إنا كذلك كنا نؤمر.و التهنئة بالعيديستحب أن يقول المسلم للمسلم بعد صلاة العيد تقبل الله منا ومنك و تهنئة من صنع إليه معروفا

يستحب أن يقال لمن صنع إليه معروفا بارك الله لك في أهلك ومالك وجزاك الله خيرا روى الترمذي عن أسامة بن زبد رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من صُنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد بلغ في الثناء ويستحب المهاداة مع التهنئةومن الأمور المستحبة في التهنئة تقديم الهدية لأهل المولود أو القادم من سفر أو الذي دخل ليلة الزفافأو غيرها من المناسبات للأحاديث التي تحض على المهاداة وترغب فيهامشاركة (وتعزيه اذا اصيب)وقال الأزهري أصل التعزية التصبر لمن أصيب بمن يعزى عليه. وقال غيره التعزية التسلية وهو أن يقال له تعزى بعزاء الله، وعزاء الله قوله تعالى الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون .ومعنى قوله: تعزى بعزاء الله، أي: تصبر بالتعزية التي عزاك الله تعالى بها، كما في كتابه أو يقال لك أسوة في فلان فقد مضى حميمه وأليفه، فحسن صبره.وأصل العزاء الصبر والله أعلم عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة (وان لا تتعمد النظر الى نسائه ولو كن خدما له) لنظرة الأولى خطأ والثانية عمد والثالثة تدمر نظر المؤمن إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس مسموم ومن تركها من خشية الله ، ورجاء ما عنده أثابه الله بذلك عبادة تبلغه لذتها الراوي عبدالله بن عمر المحدث أبو نعيم[أ]

[أ] حلية الأولياء لصفحة أو الرقم ٦

(وان تستر عورته) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة فهذا هو المشروع إذا رأى الإنسان من أخيه في الله عورة يعني معصية فلا يفضحه ولا ينشرها بين الناس، بل يسترها عليه وينصحه ويوجهه إلى الخير ويدعوه إلى التوبة إلى الله من ذلك ولا يفضحه بين الناس، ومن فعل هذا وستر على أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة، لأن الجزاء من جنس العمل أما الذين يظهرون المعاصي ولا يستحون يظهرونها بين الناس فهؤلاء فضحوا أنفسهم، فليسوا محلاً للستر كالذي يشرب الخمر بين الناس في الأسواق والاجتماعات هذا قد فضح نفسه نسأل الله العافية، وهكذا من يعمل المعاصي الأخرى جهرة ولا يبالي فهذا يرفع بأمره إلى ولاة الأمور إذا كانوا يردعون مثله ويقيمون عليه الحد يرفع بأمره وليس محل الستر من أظهر فاحشته وأعلنها(وان ترد عنه المكروه بقدرما تستطيع, عَنْ أَبِي سَعِيْد الْخُدْرِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُوْلُ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَده، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ [1] معناه: أن المؤمن وهكذا المؤمنة إذا رأيا المنكر وجب تغييره باليد مع الاستطاعة كالأمير في حدود صلاحيته وكذلك الهيئة في حدود صلاحيتها وكالأب مع أهل بيته، والأخ مع أهل بيته، على حسب القدرة، كخمر يراق آلة لهو تكسر وما أشبه ذلك فإن لم يستطع فبلسانه، يقول يا عبد الله هذا لا يجوز يا أمة الله هذا لا يجوز الواجب ترك هذا الشيء احذروه الله حرم عليكم هذا

---

[1] رواه مسلم

الشيء وهكذا يجب على كل مؤمن ومؤمنة يقول الله تعالى وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ والمنكر ما نهى الله عنه ورسوله والمعروف ما أمر الله به ورسوله، فإن لم يستطع المؤمن أو المؤمنة الإنكار باليد ولا باللسان فبالقلب، يكره في قلبه المنكر يعلم الله من قلبه أنه يكرهه ويحب زواله، ولا يحضر أهله لا يحضر معهم المجلس الذي فيه شرب الخمر، لا يحضر المكان الذي فيه آلات الملاهي، فيه الغيبة والنميمة لا يحضره، ما دام لا يستطيع الإنكار لا بيده ولا بلسانه (وان تقابله)اي تواجه الآخر (بالبشاشة)اي لَطافة وطلاقة وَجْه (والإحترام) اي التوقير من كان حظه من الشرع اوفرونصيبه من العمل الصالح اكبر قال رسول الله صلى الله عليهوسلم:ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به اخرين وذلكم هو ميزان التقديم والتكريم (قال النبى صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره)لجيران ثلاثة أصناف: جار له ثلاثة حقوق ، وجار له حقان ، وجار له حق واحد، فالجار المسلم ذو القرابة له ثلاثة حقوق حق الإسلام والقرابة والجوار والجار المسلم له حقان حق الإسلام وحق الجوار والجار الكافر له حق واحد وهو حق الجوار فالكفر لا يمنع حسن الجوار فعن عبد الله بن عمرو أنه ذبح شاة فقال: أهديتم لجاري اليهودي (وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه)الضمير في أنه لجبريل وفي سيورثه للجار ونسبة التوريث إلى جبريل مجازية ، والمراد أنه يخبرني عن اللّه بأن الجار يرث كأنه من شدة الوصية به نزله منزلة الوارث أي يأمر عن الله بتوريث الجار من جاره. واختلف في المراد

بهذا التوريث فقيل يجعل له مشاركة في المال بفرض سهم يعطاه مع الأقارب وقيل المراد أن ينزل منزلة من يرث بالبر والصلة، والأول أظهر فإن الثاني استمر، والخبر مشعر بأن التوريث لم يقع ويؤيده ما أخرجه البخاري من حديث جابر نحو حديث الباب بلفظ حتى ظننت أنه يجعل له ميراثاً واسم الجار يشمل المسلم والكافر، والعابد والفاسق، والصديق والعدو، والغريب والبلدي، والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب داراً والأبعد وله مراتب بعضه أعلى من بعض فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها وهلم جرا إلى الواحد وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك، فيعطى كل حقه بحسب حاله. وقد تتعارض صفتان فأكثر فيرجح أو يساوي. وقد حمله عبد الله بن عمرو الراوي على العموم، فإنه أمر لما ذبحت له شاة أن يهدي منها لجاره اليهودي. وقد أخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعاً الجيران ثلاثة جار له حق وهو المشرك له حق الجوار وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم له حق الجوار والإسلام والرحم[i] اعراب الحديث مازال مازال فعل ماض ناسخ مبني على الفتح جبريل اسم مازال مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره يوصيني يوصي فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة منع من ظهورها الثقل ، والنون للوقاية والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره هو والياء ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به ، والجملة الفعلية يوصيني في محل نصب خبر مازال

---

[i] فتح الباري

بالجار الباء حرف جر مبني على الكسر لامحل له من الإعراب الجار اسم مجرور بحرف الجر وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره ، والجار والمجرور متعلقان بالفعل يوصي حتى حرف غاية وجر ظننت فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك ، والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل والمصدر المؤول من أن المضمرة والفعل في محل جر بحرف الجر أنه أن حرف مشبه بالفعل حرف مبني ينصب المبتدأ ويرفع الخبر لامحل له من الإعراب ، والهاء ضمير مبني على الضم في محل نصب اسم أن سيورثه السين حرف للمستقبل مبني على الفتح لامحل له من الإعرابيورثه فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره هو والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به ، والجملة الفعلية سيورثه في محل رفع خبر أن والجملة من أن واسمها وخبرها في محل نصب سد مسد مفعولي ظننت والله اعلم

اداب المعاشرة

(اداب المعاشرة)اي الْمُخَالَطَةِ

(ادابها كثيرة منها)اي كثيرة (طلاقة الوجه)عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال قال لي النَّبي صلى الله عليه وسلم لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق و قوله صلى الله عليه وسلم ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق روي

طَلْق على ثلاثة أوجه إسكان اللام وكسرها وطليق بزيادة ياء ومعناه سهل منبسط فيه الحثُّ على فضل المعروف وما تيسَّر منه وإن قلَّ حتى طلاقة الوجه عند اللِّقاء (ولين الجانب) اي سهل التعامل اوالمعاشرةوعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ أَلا أُخْبِرُكُمْ عَلَى مَنْ تَحْرُمُ النَّارُ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ (والاصغاء)اي الاستماع (الى حديث)هوكلُّ ما يُتحدَّث به من كلامٍ وخبر (العشير)اي الصَّديقُ اوالصاحب (والوقار)اي الحِلْم (بلا كبر)اي ترفُّع عن الانقياد (والسكوت)اي صمَت عن الكلام (عند الهزل)اي مزَح (والصفح)اي العفو (عند الزلل)اي نُقْصان (والمواساة)اي التَّخْفِيفِ مِنْ حُزْنٍ وَمُصَابِ (وترك) اي انصرف الافتخار بالجاه والغانى)و قال النووي رحمه الله تعالى في كتابه رياض الصالحين باب النهي عن الافتخار والبغي الافتخار أن يتمدح الإنسان في نفسه ويفتخر بما أعطاه الله تعالى من نعمةسواء نعمة الوالد أو المال أو العلم أو الجاه أو قوة البدن، أو ما أشبه ذلك، المهم أن يتمدح الإنسان بما أنعم الله عليه فخرا وعلوا على الناس وأما التحدث بنعمة الله على وجه إظهار نعمة الله على العبد مع التواضع فإن هذا لا بأس به، لقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ولقول النبي صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد أدم يوم القيامة (فان ذلك)اي الافتخار (موجب)اي سَبَبٌ (للسقوط من اعين الناس)

(ومنها)اي كثيرة (كتمان السرلانه لاقيمة لمن لا يكتم الاسرار(و قال الشاعر)سيدنا علي بن أبي طالب (اذا المرء)اي إنسان (لم يحفظ ثلاثا فبعه ولو بكف من رماد)هوما يبقى من المواد المحترقة بعد احتراقها (وفاء للصديق)فالصديق الذى يوفى بوعده لاصدقائه يكون صديق (وبذل

مال)اي اعطائه عن طِيب نفْس (وكتمان السرائر فى الفوأد)يدل على جواهر الرجال وروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال من أسرَّ إلى أخيه سراً فلا يحل له أن يفشيه عليه وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله القلوب أوعية والشفاه أقفالها، والألسنة مفاتيحها، فليحفظ كل إنسان مفتاح سره والله اعلم

الالفة

معنى الأُلْفَة لغةً يقال أَلِفته إلفًا من باب علم وألفته أنِسْت به ولزمته وأحببته والاسم الأُلفة بالضمِّ والأُلفة أيضًا اسم من الائتلاف وهو الالتئام والاجتماع فهو مُؤْلَفٌ ومأْلُوفٌ وأَلَّفْتُ بينهم تأْلِيفًا إذا جَمَعْتَ بينَهم بعد تَفَرُّقٍ ومعنى الأُلْفَة اصطلاحًاالأُلْفَة اتِّفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش واصتلاحا (هى الاستئناس)اي مُجَالَسَة(بالناس والفرح بلقائهم)وقال الرَّاغب الإلْفُ اجتماع مع التئام يقال أَلَّفْتُ بينهم ومنه الأُلْفَة(واسبابها)اي الالفةخمسة اولها الدين)في اللغة بمعنى الطاعة والانقيادوالدين في الاصطلاح الع ام: ما يعتنقه الإنسان ويعتقده ويدين به من أمور الغيب والشهادة وفي الاصطلاح الإسلامي التسليم لله تعالى والانقياد له والدين هو ملة الإسلام وعقيدة التوحيد التي هي دين جميع المرسلين من لدن آدم ونوح إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم(لان كمال الايمان يوجب العطف)اي الرفق (وثانيها)اي خمسة (النسب)هو صلة القرابة بالآباء والأمهات فإذا ثبت النسب من هؤلاء ثبت تبعا لذلك من أقربائهم، واتصل بالأجداد

والجـدات، وبالأحفـاد والأسـباط.(لان الانسـان يحنـو)اي يعطـف (علـى اقاربه, ويتودد اليهم, ويكف الاذى عنهم) هو في اللغة هو فعل ما يكره، وترك القرار على حال محمودة، فهو فعل الاستمرار على ما يؤذي من لا يستحق الأذى قولًا أو فعلًا، أما الأذى في الاصطلاح هو إيصال الضرر والمكروه إلى من لا يستحقه في نفسه أو قنيته دنيويًّا أو أخرويًّا، وقد ورد استعمال لفظ الأذى في القرآن لمعاني عدة منها: المن بالصدقة، والشدة والمحنة، والسباب والشتيمة، والغيبة والنميمة وبمعنى الجفاء والمعصية في حق الله ورسـوله وبمعـنى الـزور والبهتـان علـى الـبرئ، والإثقـال علـى النـاس، والاستهزاء والتعذيب الذي يبتلى به المهتدي من الناس (كما قال النبى صلى الله عليه وسلم إنَّ الرَّحم إذا تماسَّت)اي لمسوا بعض (تعاطفت) (وثالثها المصاهرة) فهم الذين يكونون بسبب زواج الرجل من المرأة، فإن الأصهار هم أهل بيت المرأة على الأشهر في اللغة . (لان الانسان اذا احب عرسه)اي الزَّوْج ؛ هو عِرْسُها وهي عِرْسُهُ وهما عِرْسانِ والجمع أَعْراسٌ (احب كل من ينتمى)اي ينتسب (اليها) قال خالد بن يزيد بن معاوية كان ابغض خلق الله الا آل الزبيرحتى تزوجت منها فصاروا احب خلق الله الى).ولذلك قيل المرء على دين زوجته (ورابعها البر وهو الاحسان الى الناس)وتقديم الخدمة لهم بما يُستطاع فالخلق عيالُ الله وأحبُّ الخَلق إلى الله أنفعُهم لعياله والإحسان إلى الخَلق من تمام الإحسان في عبادة الله قال

سبحانه مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ [أ]

(قال الشاعر احسن الى الناس تستعبد)اي تتَّخذها عبدًا (قلوبهم) (فطالما) كلمة مركبة من طال ما الكافّة عن الفاعل معناها كثيرا ما (استعبد)اي اتَّخذ عبدًا (الانسان احسان)قيل لابن المنكدر أي الأعمال أفضل قال إدخال السرور على المؤمن . قيل أي الدنيا أحب إليك قال الإفضال على الإخوان . أي التفضل عليهم والقيام بخدمتهم .وقال وهب بن منبه إن أحسن الناس عيشاً من حسن عيش الناس في عيشه وإن من ألذ اللذة الإفضال على الإخوان(وخامسها الاخاء)اي صَدَاقَةٌ (كما اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار, لتقوى رابطتهم وتزيد الفتهم واما فضل الالفة فالافادة والاستفادة)وقال سبحانه وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بينهم إِنَّه عزِيز حكِيم [ب] ٦٣قوله وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فاجتمعوا وائتلفواوازدادت قوّتهم بسبب اجتماعهم ولم يكن هذا بسعي أحد ولا بقوّة غير قوّة الله فلو

[أ] المدثر: ٤٢ – ٤٤

[ب] الأنفال: ٦٢–

أنفقت ما في الأرض جميعًا مِن ذهب وفضَّة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النُّفرة والفُرقة الشَّديدة مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لأنَّه لا يقدر على تقليب القلوب إلَّا الله تعالى وَلَـكِنَّ اللّه أَلَّف بينهم إِنَّه عزِيز حكِيم ومِن عزَّته أن ألَّف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقةوقال القرطبي في قوله تعالى وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ أي جمع بين قلوب الأوس والخزرج وكان تألُّف القلوب مع العصبيَّة الشَّديدة في العرب مِن آيات النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ومعجزاته لأنَّ أحدهم كان يُلْطَم اللَّطمة فيقاتل عنها حتى يستقيدها. وكانوا أشدَّ خَلْق الله حميَّة، فألَّف الله بالإيمان بينهم حتى قاتل الرَّجل أباه وأخاه بسبب الدِّين وقيل أراد التَّأليف بين المهاجرين والأنصار والمعنى متقارب (والتعاون على البر والتقوى),قال الله سبحانه وتعالى وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ[١] و قال ابن كثير رحمه الله يأمر تعالى عبادَهُ بالمعاونة على فعل الخيرات،وهو البروترك المنكرات وهو التقوى وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم و قال ابن جرير الإثم ترك ما أمر الله بفعله،والعدوان مجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركموقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم كيفية التعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على المنكر،فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، فرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فذاك نصره (وبذلك تستقيم

---

[١] المائدة: ٢

الاحـوال) جمـع الحـال هومـا يختـصُّ مـن أُمـوره المتغـيَّرة الحسّـيّةِ والمعنويـة (وتعتدل)اي تتناسُب (الامور) قال الله تعالى واعتصموا بحبل لله جميعا ولا تفرقوا) اى بدين الاسلام او بكتابه فلفظ الحبل مستعار لاحد هذين المعنيين فان كل واحد منهما يشبه الحبل فى كونه سببا للنجاة من الردى والوصول الى المطلوب فان من سلك طريقا صعبا يخاف ان تزلق رجله فيه فاذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبى ذلك الطريق امن من الخوف كذلك طريق السعادة الابدية ومرضاة الرب طريق زلق ودواعى الضلال عنها متكثرة زلق رجل اكثر الخلق فيها فمن اعتصم بالقرآن العظيم وبقوانين الشرع القويم وبينات الرب الكريم فقد هدى الى صراط مستقيم وامن من الغواية المؤدية الى نار الجحيم كما يأمن المتمسك بالحبل من العذاب الاليم جميعا حال من فاعل اعتصموا اى مجتمعين فى الاعتصام ولا تفرقوا اى لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب[أ]

الاخاء

(الاخاء)هو رباط ايماني يقوم على منهج الله ينبثق من التقوى ويرتكز على الاعتصام بحبل الله ,وهي صفة ملازمة للايمان وخصلة مرافقة للتقوى اذ لاخوة بدون ايمان ولا ايمان بدون اخوة قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال المصنف رحمه الله تعالى(هو رابطة)اي العَلاقةُ بين الشخصين تحقق) اي ثَبَتَ (بينهما المودة)هى شعور بالانسجام بين شخصين (فيطلب من كل

[أ]تفسير روح البيان في تفسير القرآن اسماعيل حقي والله اعلم

منهما لآخر المواساة)اي التَّخْفِيف (بالمال والاعانة بالنفس)في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة (والعفو عن الزلات)في الدين وزلات في حقك و أما إذا زل في الدين فإن العفو عن هذه الزلة أن لا تشهرها عنه وأن تسعى في إصلاحه؛ لإن محبتك له إنما كانت لله فإذا كانت لله فأنت تقيمه على الشريعة.و أما ما كان من زلات في حقك فحق الأخوة أولا أن لا تعظم تلك الزلة بل تنظر إلى حسناته تنظر إلى معاشرته تنظر إلى صدقه معك في سنين مضت أو في أحوال مضت فتعظم الحسنات وتصغر السيئات حتى يقوم عقد الأخوة بينك وبينه حتى لا تنفصل تلك المحبة (والاخلاص)يكون بتنقية الأعمال من الرياء(والوفاء)هوملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء (والتحفيف عليه وترك التكلف له)اي الاخ (والسكوت عما يؤذى والتكلم بما يرضاه الشرع, ويقبله الدين)عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت (فيأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر, ويدعوله بحسن الحال, ودوام الاستقامة)هي الإقامة على دين الله والدوام على هُدى الله عز وجل والاستمرار في التقيد بقيوده ، والوقوف عند حدوده ، والاستجابة لأوامره والانتهاء عن محارمه (واما فضل الاخاء فكبير)وقال تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وعن أنس بن مالك أنَّ النَّبيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – قال: ((ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليْه ممَّا سواهما وأن يكره الرَّجُل أن يعود

إلى الكفْر كما يكره أن يقذف في النَّار، وأن يحبَّ العبد لا يحبُّ إلاَّ لله أو قال في الله ورحِم الله مَن قال:

اسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الإِخْوَانِ إِنَّهُمُ خَيْرٌ لِكَانِزِهِمْ كَنْزًا مِنَ الذَّهَبِ
كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَوْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ وَجَدْتَهُ لَكَ خَيْرًا مِنْ أَخِي النَّسَبِ

وكتب الأحنف بن قيس مع رجُل إلى صديق له أمَّا بعد فإذا قدِم عليك أخ لك موافق فليكن منك مكان سمعِك وبصرِك؛ فإنَّ الأخَ الموافق أفضلُ من الولد المخالف، ألا تسمع إلى قوْل الله – عزَّ وجلَّ – لنوح في شأن ابنِه: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ[أ] يقول ليس من أهْل ملَّتك فانظر إلى هذا وأشباهه فاجعلْهم فاجعلّهم كنوزك وذخائرك وأصحابك في سفرك وحضرك، فإنَّك إن تقربهم تقرَّبوا منك، وإن تباعدهم يستغنوا بالله عزَّ وجلَّ والسَّلام (لانه يبعث على التخلق بمحاسن الاخلاق ويؤلف بين القلوب وبه يكون اصلاح ذات البين)هي الفرقة التي تقع ما بين كل قريب مع قريبه (الذى جعله الله من ثمرات التقوى فقال فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) أي أصلحوا الحال التي بينكم بالمواساة والموادة وسلامة الصدور، ولمساعدة فيما رزقكم الله، وتسليم أمره إلى الله تعالى ورسوله[ب] والله اعلم

داب المجالس

[أ] هود: ٤٦

[ب] تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة (ت ١٢٢٤ هـ)

(داب المجالس)الجمع مَجلِس هو مكان الجُلُوس

(على من يأتى المجالس)العِلْمِ النَّافِعِ و الذكر إن خير المجالس وأزكاها وأطهرها وأشرفها واعلاها قدراً عند الله وأجلها مكانة عنده مجالس العِلْمِ و الذكر فهي حياة القلوب ونماء الإيمان وزكاء النفس وسبيل السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ولهذا ورد في فضلها والحث على لزومها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر فمن شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا , فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة.ومجالس الذكر هي مجالس الملائكة , فإنه ليس من مجالس الدنيا مجلس إلا مجلس يذكر فيه الله تعالى فيه كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة فضلاً يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر (ان يبدأ الحاضرين بالسلام, وان يجلس حيث انتهى به المجلس)معنى حيث انتهى بنا المجلس يعني المكان الخالي الذي لم يجلس فيه أحد فقد ورد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كنا إذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي ولا ينبغي أن يقيم أحداً من مكانه فيجلس فيه لا ينبغي عليه (وان يعرض عن اقوال العامة الخالية عن الفائدة وان يغير المنكر بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه)أن إنكار المنكر على مراتب ثلاث التغيير باليد والتغيير باللسان والتغيير بالقلب وهذه المراتب متعلقة بطبيعة هذا المنكر ونوعه وطبيعة القائم بالإنكار وشخصه فمن المنكرات ما يمكن تغييره مباشرة باليد ومن المنكرات ما يعجز المرء عن تغييره بيده دون لسانه وثالثة لا يُمكن تغييرها إلا بالقلب فحسب (وليقم) اي و لينهض (من

المجلس ان لم تدع)اي لم تقتضي (الى المقام) ي المجلس(بضرورة)اي حاجَة قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى عند قوله عز وجل إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية، وعملوا بها فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية وقال أيضاً وإذا ثبت تجنب أصحاب المعاصي كما بينا فتجنب أهل البدع والأهواء أولى (وان لا يحتقر احدا من جلسائه ربما كان خيرا منه عند الله)وفال ابن عربي لا تحتقر أحدا أو شيئا , فالله حين خلقه لم يحتقره(وان لايعظم احدا لماله لان ذلك يضعف الدين ويسقط المروءة)هي آدابٌ نفسانيَّةٌ تحمِلُ مُراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسِن الأخلاق وجميل العادات و قال الإمام أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله تعالى: العظمة صفة من صفات الله تعالى ، لا يقوم لها خلق ،والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يعظم بها بعضهم بعضا ،فمن الناس من يعظم لمال ومنهم من يعظم لفضل ،ومنهم من يعظم لعلم ،ومنهم من يعظم لسلطان ومنهم من يعظم لجاه،وكل واحد من الخلق إنما يعظم بمعنى دون معنى ،والله عز وجل يعظم في الأحوال كلها (وان كان فى الطريق فليغض)اي فليَصْرِف (طرفه)اي نظره (وليغث)اي وليعن (الملهوف)اي المظلوم (وليعن الضعيف وليرشد الضال, وليرد بالسلام على من بدأه به)رد السلام واجب بالإجماع وإلقاؤه سنة عند جمهور العلماء وقال النبي صلي الله وعليه والسلام والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم(وليعط السائل)قال ابن كثير قَالَ ابْنُ

إِسْحَاقَ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ أَيْ فَلَا تَكُنْ جَبَّارًا وَلَا مُتَكَبِّرًا وَلَا فَحَّاشًا وَلَا فَظًّا عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ يَعْنِي رُدَّ الْمِسْكِينَ برحمة ولين. انتهى(وليكن فى جلسته وقورا) هي صفة لازمة في العبد الصالح مهما احتاج الأمر إلى إسراع وعجلة، وهل هناك أهم من تلبية نداء حي على الفلاح في الحديث عن أبي هريرة عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم الإقامة، فامشوا إلى الصَّلاة وعليكم بالسَّكينة والوَقَار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فأتمُّوا[1] و قال النَّوويُّ الوَقَار في الهيئة وغض البصر وخفض الصَّوت والإقبال على طريقه بغير التفات ونحو ذلك والله أعلم و إن لهيئة الجلوس بين الناس رمزيات عندهم في الحكم على هدي الإنسان وعقله وهيئة جلسة النبي صلى الله عليه وسلم قد ورد فيها عدة أحاديث دلالة أنها لم تكن على أي اتجاه فكانت جلسات متعددة ولكل مقام ما يناسبه (فان ذلك)جلسته (ادعى الى تعظيمه والاعتناء لشأنه) لانه على هيئة التواضع والله اعلم

آداب الاكل

(اما الاداب التى قبله فهى غسل اليدين ووضع الطعام على سفرة بالارض) فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة اعلم ان السفرة فى الاصل اسم لطعام يصنع للمسافر والجمع سفر كغرفة وغرف وسميت الجلدة التى يوعى فيها الطعام سفرة مجازا كذا فى

---

[1] رواه البخاري ومسلم

المصباح[أ](والجلوس)عن عبد الله بن بسر قال اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال اعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا وما رواه مسلم وغيره عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم مقعيا ياكل تمرا والاقعاء هو الجلوس على الاليتين ونصب الساقين[ب](وترك الاكل مع الشبع)قال تعالى وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ[ت] وقول سيدة عَائِشَةَ رضى الله عنها تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ شَبِعْنَا مِنَ الْأَسْوَدَيْنِ التَّمْرِ وَالْمَاءِ (ونية التقوى على العبادةوالرضا بالحاضرمن الطعام وترك ذمه)عن أبي هريرة قال ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاما قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه (وطلب من يأكل معه)كان سيدناإبراهيم عليه السلام يمشي الميل والميلين في طلب من يأكل معه (واما التى معه)اي الاكل (فهى)اي التى (البدء بالتسمية جهرا ليذكر غيره والاكل باليمنى) لقول الرسول صلى الله عليه وسلم سم الله وكل بيمينك وكل ممايليك (وتصغير اللقمة)ويحسن تصغير الفتى لقمة الغذا وبعد ابتلاع ثن والمضغ جود ويحسن بمعنى يندب ويستحب تصغير الفتى أي كل آكل من ذكر وأنثى صغير وكبير لقمة الغذا أي لقم ما يتغذى به واجادة مضغها (وترك مديده)اي بَسَطَهَا الى غيرها)اي اللقمة (قبل الفراغ منها والاكل ممايليه الا

[أ] اتحاف السادة المتقين الزبيدي

[ب] شرح لمسلم ١٣ النووي ١٨٨

[ت] الأعراف ٣١

فى الفاكهة)فله أن يجيل يده فيها ولا يضع على الخبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به (وان لاينفخ فى الطعام)وقال العلامة المناوي رحمة الطعام الله والنفخ في الطعام الحار يدل على العجلة الدالة على الشَّرَه وعدم الصبر وقلة المروءة (وان لايقطعه بالسكين)عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقطعوا الخبز بالسكين كما تقطعه الأعاجم ، وإذا أراد أحدكم أن يأكل اللحم فلا يقطعه بالسكين ولكن ليأخذه بيده فلينهشه بفيه فإنه أهنأ وأمرأ[1] (وان لايمسح يده به) اي الطعام(وان لايجمع بين التمر والنوى فى اناء)اي طَبَقٍ وَلَا يَجْمَعُهُ فِي كَفِّهِ بَلْ يَضَعُهُ مِنْ فِيهِ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ ، ثُمَّ يُلْقِيهِ ، وَكَذَا كُلُّ مَا لَهُ عَجَمٌ وَثُفْلٌ. قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ الْعَجَمُ بِالتَّحْرِيكِ النَّوَى وَكُلُّ مَا كَانَ فِي جَوْفِ مَأْكُولٍ كَالزَّبِيبِ الْوَاحِدَةُ عَجَمَةٌ مِثْلُ قَصَبَةٍ وَقَصَبٍ قَالَ يَعْقُوبُ الْعَامَّةُ تَقُولُ عَجْمٌ بِالتَّسْكِينِ وَالثُّفْلُ بِضَمِّ الثَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَسُكُونِ الْفَاءِ مَا ثَقُلَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (وان لايشرب الماء الا عند الاحتياج اليه واما التى بعده فهى) الاكل عند الجوع و (القيام)اي الوقف (قبل الشبع)وغسل اليدين بعد لعقهما والتقاط الفتات) و قال البخاري رحمه الله في صحيحه بَاب لَعْقِ الْأَصَابِعِ وَمَصِّهَا قَبْلَ أَنْ تُمْسَحَ بِالْمِنْدِيلِ ثم روى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا وكذا رواه مسلم وقال النووي رحمه الله وَقَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلْعَقهَا أَوْ يُلْعِقهَا مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَم لَا يَمْسَح يَده حَتَّى يَلْعَقهَا فَإِنْ لَمْ يَفْعَل فَحَتَّى يُلْعِقهَا غَيْره مِمَّنْ لَا يَتَقَذَّر ذَلِكَ كَزَوْجَةٍ

---

[1] مجمع الزاوئد ومنبع الفوائدنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي

وَجَارِيَة وولَد وَخَادم يُحِبُّونَهُ وَيَلْتَذُّونَ بِذَلِكَ وَلَا يَتَقَذَّرُونَ وَكَذَا مَنْ كَانَ فِي مَعْنَاهُمْ كَتلْميذ , وَكَذَا لَوْ أَلْعَقَهَا شَاة وَنَحْوهَا انتهى وروى مسلم وأبو داود والترمذي عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ قَالَ وَقَالَ إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ قَالَ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ نَسْلُت الْقَصْعَة مَعْنَاهُ نَمْسَحهَا وَنَتَتَبَّع مَا بَقِيَ فِيهَا مِنْ الطَّعَام والسنة الأكل بثلاث أصابع الإبهام والتي تليها والوسطى ولو احتاج إلى الأكل بأكثر من ذلك أو بالكف كلها فلا حرج عليه وروى مسلم عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِك قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا واللعق يعني المص أن تمص الأصبع أو الكف إن كان أكل شيئا بجمع كفه ، وتلحس حتى لا يبقى به أثر للطعام وقد روى ابن أبي شيبة في المصنف عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طعم أحدكم فلا يمسح يده حتى يمصها فإنه لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه وقال النووي رحمه الله في هَذِه الْأَحَادِيث أَنْوَاع مِنْ سُنَن الْأَكْل مِنْهَا اِسْتِحْبَاب لَعْق الْيَد مُحَافَظَة عَلَى بَرَكَة الطَّعَام وَتَنْظِيفًا لَهَا وَاسْتِحْبَاب الْأَكْل بِثَلَاث أَصَابِع وَلَا يَضُمّ إِلَيْهَا الرَّابِعَة وَالْخَامِسَة إِلَّا لِعُذْرٍ بِأَنْ يَكُون مَرَقًا وَغَيْره مِمَّا لَا يُمْكِن بِثَلَاث وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الْأَعْذَار وَاسْتِحْبَاب لَعْق الْقَصْعَة وَغَيْرهَا , وَاسْتِحْبَاب أَكْل اللُّقْمَة السَّاقِطَة بَعْد مَسْح أَذًى يُصِيبهَا هَذَا إِذَا لَمْ تَقَع عَلَى مَوْضِع نَجِس فَإِنْ وَقَعَتْ عَلَى مَوْضِع نَجِس تَنَجَّسَتْ وَلَا بُدّ مِنْ غَسْلهَا إِنْ أَمْكَنَ فَإِنْ تَعَذَّرَ أَطْعَمَهَا حَيَوَانًا وَلَا يَتْرُكهَا لِلشَّيْطَانِ وَمِنْهَا إِثْبَات الشَّيَاطِين وَأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ وَقَدْ

تَقَدَّمَ قَرِيبًا إِيضَاح هَذَا وَمِنْهَا جَوَاز مَسْح الْيَد بِالْمِنْدِيلِ لَكِنَّ السُّنَّة أَنْ يَكُون بَعْد لَعْقهَا انتهى(وحمد الله)عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليه ويشرب الشربة فيحمده عليها والله اعلم

آداب الشرب

(ادابه كثيرة منها تناول)اي أَخَذ (الاناء باليمن)وفي حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله فائدة: إذا هناك ثمَّ عذرٌ يمنع من الأكل باليد اليمنى كالمرض والجراحة ونحوهما فلا حرج في الأكل بالشمال ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها(والنظر فيه قبل الشرب)لحرص على نظافة (والتسمية)لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا تشربوا واحدا كشرب البعير و لكن اشربوا مثنى و ثلاث و سموا إذا أنتم شربتم و احمدوا إذا أنتم رفعتم) أي انتهيتم من الشرب (والجلوس)عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لا يشربن أحدكم قائماً فمن نسي فليستقي[أ] وعن أنس وقتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً قال قتادة فقلنا فالأكل

[أ] رواه مسلم

فقال ذاك أشر و أخبث[أ] (ومص)اي رشف(الماء لان عبه)اي شَرِبَهُ بلا تنفُّس ومَصٍّ (يضر الكبد)هوعضوٌ في الجانب الأَيمن من البطن تحت الحجاب الحاجز له وظائفُ عِدَّةٌ أَظهرُها إِفراز الصفراء (قال النبى صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولاتعبوه عبا)يعني الإنسان الماء قد يكون بارد اثنان أو ثلاثة فإذا شربه غباً انتقل الماء إلى جوفه مباشرة والجوف سبع وثلاثون حرارته هذا الفرق الحراري يحدث صدمة هي هناك عصب اسمه العصب الحائر المبهم هذا العصب بين القلب والرئتين ويوجد اثنتا عشرة حالة في العالم موت مفاجىء من شرب الماء البارد دفعة واحدة العصب متصل بين المعدة والقلب اسمه العصب المبهم أو العصب الحائر اسألوا عنه الأطباء يعرفونه هذا العصب إلى الآن لم تعرف وظيفته بعد إلا أنه متصل بين المعدة والقلب فأي إحداث تأثير جاد وفي المعدة ربما انتقل هذا التأثير إلى القلب (ومنها الشرب فى ثلاثة انفاس يسمى فى كل واحد يحمد فى اخره ولايتنفس فى الاناء ولا يتجشأ)اي يخرج من فمه صوتًا مع ريح عند الشِّبَع (فيه)اي الاناء (واذا شرب واراد ان يسقى غيره فليقدم من على يمينه على من بيساره ولو كان افضل لان النبى صلى الله عليه وسلم سقى اعرابيا كان على يمينه قبل ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وقال الايمن فالايمن)أي يقدم من على يمين الشارب في الشرب ثم الذي عن يمين الثاني وهلم جرا وهذا مستحب عند الجمهور[ب] و يدلّ عليه حديث أَنَسِ

[أ] رواه مسلم و الترمذي

[ب] فتح الباري شرح صحيح البخاري

النوم على الشق الأيمن هو أن الرئة اليسرى وهي أصغر من الرئة اليمنى فيكون القلب أخف حملاً و تكون الكبد مستقرة لا معلقة و المعدة جاثمة بكل راحتها و يكون أسهل عليها إفراغ ما بداخلها من طعام بعد هضمه و قال ابن حجر وَخَصَّ الْأَيْمَن لِفَوَائِد مِنْهَا أَنَّهُ أَسْرَع إِلَى الانْتِبَاه وَمِنْهَا أَنَّ الْقَلْب مُتَعَلِّق إِلَى جِهَة الْيَمِين فَلا يَثْقُل بِالنَّوْمِ(وان يقصد بنومه راحة بدنه ليقوى على العبادة)وقال سفيان الثوري رحمه الله ورضي الله عنه كانوا يستحبون إذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة فإذن النوم على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة وأما إذا كان لو لم ينم لانبعث في العبادة من الأذكار والوظائف فهذا يقظته خير من نومه فإذا نام لأجل أن يذهب عنه التعب والكسل والسآمة وينهض إلى الوظائف والأذكار على غاية من النشاط وصفاء الذهن والخاطر فنومه أيضا عبادة (وان يذكر الله تعالى عند نومه)بقراءة آية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي كان إذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات[1](وبعد يقظته) و غسل اليد والأنف لقول صلى الله عليه وسلم إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِه ثُمَّ لِيَنْثُرْ وَمَنْ اسْتَجْمَرَ فَلْيُوتِرْ وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ فَإِنَّ

---

[1] متفق عليه

أَحَدَكُمْ لا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ[أ](وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول اللهم باسمك احيا)أي: باسمك اللهم وبذكرك أحيا(واموت)أي على ذكر اسمك أموت (واذا استيقظ قال الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور)المراد بأماتنا النوم وأما النشور فهو الإحياء للبعث يوم القيامة فنبه صلى الله عليه وسلم بإعادة اليقظة بعد النوم الذي هو كالموت على إثبات البعث بعد الموت قال العلماء وحكمة الدعاء عند إرادة النوم أن تكون خاتمة أعماله كما سبق وحكمته إذا أصبح أن يكون أول عمله بذكر التوحيد والكلم الطيب[ب]

والله اعلم

آداب المسجد

المسجد لغة موضع السجود وشرعاً كل ما أعد ليؤدي فيه المسلمون الصلوات الخمس جماعةوقد يطلق على ما هو أم من هذا فيدخل فيا يتخذه الإنسان في بيته ليصلي فيه النافلة أو ليصلي فيه الفريضة عند العجز عن صلاتها في المسجد الذي يقيم الناس فيه الجماعة ومن ذلك ما رواه البخاري وغيره عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل(المساجد بيوت الله) لقد عَظَّم الإسلامُ المسجد وأعلى مكانتَه ورسَّخَ في النفوس قدسيتَه فأضافه اللهُ

[أ] متفق عليه

[ب] شرح النووي على مسلم الشيخ يحيي بن شرف أبو زكريا النووي

تعالى إليه إضافةَ تشريفٍ وتكريم فقال تعالى وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا[أ] (ومن علق قلبه بها)قال الامام النووي في شرح مسلم ومعناه شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها اهـ قال المناوي في فيض القدير عند شرح قوله إذا خرج منه حتى يعود إليه كنى به عن التردد إليه في جميع أوقات الصلاة فلا يصلي صلاة إلا في المسجد ولا يخرج منه إلا وهو ينتظر أخرى ليعود فيصليها فيه فهو ملازم للمسجد بقلبه فليس المراد دوام الجلوس فيهاهـ(اظله الله فى ظله يوم القيامة كما فى الحديث)عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إِمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبادة الله تعالى ورَجُلٌ قَلْبُه مُعَلَّقٌ بالمساجد، ورَجُلانِ تَحابَّا في الله: اجْتَمَعَا عليه وتَفرَّقَا عليه ورجلٌ دَعَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنْصِب وجَمَال فقال إِني أَخاف الله ورجلٌ تصدَّق بصَدَقَةفأَخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُه ما تُنْفِقُ يَمِينُه ورجلٌ ذَكَرَ الله خاليًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ[ب] (فيطلب المشى اليها باشتياق)اي رغب(مع السكينة والوقار)وقال الامام النووي الظاهر أن بينهما فرقا وأن السكينة التأني في الحركات واجتناب العبث والوقار في الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات (ودخولها باليمنى مع تنظيف نعليه خارجها)استحباب تقديم اليمين فيما كان من باب التكريم ، وتقديم اليسار فيما كان من الأذى و قال النووي رحمه الله في شرح مسلم هَذِه قَاعِدَة مُسْتَمِرَّة فِي الشَّرْع وَهِيَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ بَاب التَّكْرِيم وَالتَّشْرِيف كَلُبْسِ الثَّوْب وَالسَّرَاوِيل وَالْخُفّ وَدُخُول الْمَسْجِد وَالسِّوَاك وَالاكْتِحَال وَتَقْلِيم الأَظْفَار وَقَصّ الشَّارِب وَتَرْجِيل الشَّعْر وَهُوَ مَشْطُهُ

[أ] الجن ١٨

[ب] متفق عليه

يعني تسريح الشعر وَنَتْف الإِبِط وَحَلْق الرَّأْس وَالسَّلام مِنْ الصَّلاة وَغَسْل أَعْضَاء الطَّهَارَة وَالْخُرُوج مِنْ الْخَلاء وَالأَكْل وَالشُّرْب وَالْمُصَافَحَة وَاسْتِلام الْحَجَر الأَسْوَد وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهُ يُسْتَحَبّ التَّيَامُن فِيهِ . وَأَمَّا مَا كَانَ بِضِدِّهِ كَدُخُولِ الْخَلاء وَالْخُرُوج مِنْ الْمَسْجِد وَالامْتِخَاط وَالاسْتِنْجَاء وَخَلْع الثَّوْب وَالسَّرَاوِيل وَالْخُفّ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَيُسْتَحَبّ التَّيَاسُر فِيهِ , وَذَلِكَ كُلّه بِكَرَامَةِ الْيَمِين وَشَرَفهَا[أ] انتهى (وقوله عند الدخول اللهم افتح لى ابواب رحمتك واداء تحية المسجد)المساجد في الأرض بيوت اللّه وحق على من قصد اللّه في بيته أن يطلب منه الرحمة ورحمة اللّه واسعةرحمة في الدنيا ورحمة في الآخرةوالمساجد مواطن الرحمة لأنها أماكن العبادة وأماكن المناجاة، وأماكن الطاعة، ولهذا طلب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ممن يدخل المسجد أن يسأل اللّه فتح أبواب رحمته لعبده (والتسليم ولو خلا المسجد من الناس لانه لايخلو من الجن والملائكة)ويسن لمن دخل محلا خاليا أن يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[ب] وقال المتولي يستحب لمن دخل دار نفسه أن يسلم على أهلهولمن دخل مسجدا أو بيتا ليس فيه أحد أن يقولالسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قلت يستحب أن يسمي الله تعالى قبل دخولهويدعوثم يسلموالله أعلم[ت] (والجلوس بنية التقرب ومراقبة الله تعالى) هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه ويعنى بها حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة

[أ] شرح مسلم ١٦٠/١

[ب] إعانة الطالبين ١٨٩/٤

[ت] روضة الطالبين - محيى الدين النووي - ج - ٧ الصفحة ٤٣٣

القلب للرقيب وملاحظته إياه وأما المعرفة فهي العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد ، قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف ثم للمراقب في أعماله نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل أما قبل العمل فلينظر همه وحركته أهي لله خاصة أو لهوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فإن كان لله تعالى أمضاه وإن كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه وعرفها سوء فعلها وأنها عدوة نفسها . وأما النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل فذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في إتمامه ويتعاطاه على أكمل ما يمكن[أ] (و الاكثار من ذكره) بالتحميد والتهليل والتكبير وخصوصا الصلاة على النبي محمد صلى الله وعليه وسلم بأي صيغة من صيغها، تعدل ثواب حجة مقبولة وعتق رقبة من ولد إسماعيل(وحبس النفس عن الشهوات)وفِطامها عن المألوفات (واجتناب الخصومة)اي نِزَاع اوخِلاَف (وان لاينتقل من مكانه الا لحاجة)من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث اللهم اغفر له اللهم ارحمه لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة وقال الإمام زين الدين العراقي رحمه الله ما المراد بمصلاه هل البقعة التي صلى فيها من المسجد حتى لو انتقل إلى بقعة أخرى في المسجد لم يكن له هذا الثواب المترتب

[أ] موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين الشيخ محمد جمال الدين القاسمي

عليه أو المراد بمصلاه جميع المسجد الذي صلى فيه يحتمل كلا الأمرين والاحتمال الثاني أظهر وأرجح انتهى[أ] و قال الحافظ ابن حجر رحمه الله قوله في مصلاه أي في المكان الذي أوقع فيه الصلاة من المسجد وكأنه خرج مخرج الغالب وإلا فلو قام إلى بقعة أخرى من المسجد مستمرا على نية انتظار الصلاة كان كذلك انتهى[ب] (وان لاينشد ضالة)نَشَدَ يقال نَشَدَ الضَّالَّةَ نَشْداً بِفَتْحٍ فَسُكُونو نِشْدَةً ونِشْدَاناً بكسرِهماطَلَبَ وَسَأَلَ مع رفْعِ الصَّوت والضَّالَّةُ اسمٌ يقع على الذَّكر والأُنْثَى وهو يطلق على ما ضَلَّ من البهائِم والحيوان، ويقال عن الإِنْسَان ضائعِ أو لِقيط ولكن النَّهي هنا يشمل الْجَميع وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منْ سمعَ رجلاً يَنْشدُ ضالةً في المسجد فليَقلْ لا ردَّها اللهُ عليك فإنّ المساجدَ لم تُبنَ لهذا (وان لايرفع صوته بحضرة المصلين)قال النووي في المجموع تكره الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه وكذا البيع والشراء والإجارة ونحوه من العقود هذا هو الصحيح المشهور. انتهى. (وان لايمر بين ايديهم) إذا كانت السترة معتبرة فيحرم المرور و نقل الإمام النووي في مجموعه قولا عن الإمام الغزالي أنه يكره المرور و لا يحرم و في هذا سعة لكثير من الناس و يندب للمصلي دفع المار و يجوز المرور مع وجود السترة في أربع حالات إذا كان في حرم مكة في محل الطواف فقط و إذا قصر المصلي بأن صلى في الطريق و إذا وجد المصلى فرجة فيجوز له المرور لسد الفرجة و إذا كان مضطرا بأن كان يريد قضاء الحاجة أثناء الصلاةو الله

[أ] طرح التثريب (٣٦٧/٢
[ب] فتح الباري ١٣٦/٢

أعلم[أ] (وان لايشتغل بصنعة) (وان لايخوض)اي لايدخل (فى كلام اهل الدنيا ليسلم من الوعيد الوارد فى قول النبى صلى الله عليه وسلم يأتى فى آخر الزمان ناس من امتى يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم حاجة) هذا الحديث نص في كراهية هذا الفعل المذموم لأن المساجد لم يؤمر ببنائها لهذا وإنما أمر برفعها لتعمر بذكره سبحانه وتعالى وتؤدى فيها الصلوات والطاعات والقُربات كالاعتكاف وأنواع الذّكر كحلق القرآن والعلم وذَهَبَ الشَّافعيَّةُ إلَى جَوَازِ الْكَلاَمِ الْمُبَاحِ فِي الْمَسْجِد وقَال النَّوَوِيُّ يَجُوزُ التَّحَدُّثُ بِالْحَدِيث الْمُبَاحِ فِي الْمَسْجِد وَبِأُمُورِ الدُّنْيَا وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُبَاحَاتِ وَإِنْ حَصَل فِيهَا ضَحِكٌ وَنَحْوُهُ مَا دَامَ مُبَاحًا[ب] (فاذا اراد الخروج طلب منه البدء باليسرى وان يضعها على ظهر نعليه ثم يلبس اليمنى اولا)قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا انتعل أحدكم فليبدء باليمين وإذا نزعها فليبدأ بالشمال لتكن أولها تنعل وآخرهما تنزع (وليقل عند خروجه اللهم انى اسألك من فضلك)لما كان الخروج من المسجد خروجًا لطلب الرزق في الغالب كان المشروع لمن خرج من المسجد أن يسأل اللّه تعالى فضلاً وجودًا ورزقًا حلالاً وبهذا يصبح المسجد موئلاً لطلب خيري الدنيا والآخرة وموطنًا لإجابة الدعاء والحصول على رحمة اللّه وفضله(قال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتى)اى الاماكن التى اصطفيها واخترها لتنزلات رحمتى وملائكتاى الاماكن التى اصطفيها واخترها لتنزلات رحمتى وملائكتى (فى ارضى المساجد وان زوارى فيها)اى فى تلك البيوت (عمارها)جمع عامروهم الذين يعمرونها بالعبادة

[أ] التقريرات السديدة ج ١ ص ٢٥٠

[ب] المجموع شرح المهذب ١٨٠/٢

بانواعها والبر والحسنات(فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره)والمراد بالزائر هنا العابد والمزور هو الله تعالى اخرجه ابو نعيم فى الحلية من حديث ابى سعيد باسناد ضعيف بلفظ يقول الله عز وجل يوم القيامة اين جيرانى فتقول الملائكة ومن ينبغى ان يكون جارك فيقول عمار مساجدى هكذا هو نص الحلية ونص العراقى منها من هذا الذى ينبغى ان يجاورك فيقول اين قراء القران وعمار المساجد قال واخرجه البيهقى فى الشعب نحوه موقوفا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح واسند ابن حبان فى الضعفاء اخر الحديث من حديث سليمان وضعفه قال وللطبرانى من حديث سليمان مرفوعا من توضا فى بيته فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد فهو زائر الله تعالى وحق على المزور ان يكرم زائره واسناده ضعيف قلت هكذا هو فى المعجم الكبير الا انه قال ان يكرم الزائر وقد وجدت سياق المصنف فى المعجم الكبير للطبرانى من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا بلفظ ان بيوت الله تعالى فى الارض هى المساجد وان حقا على الله ان يكرم من زاره فيها[أ](وعن انس رضى الله عنه من اسرج فى مسجد سراجا)اى اوقده والسراج بالكسر المصباح وهو اعم من ان يكون بتعليق قنديل او وضع مسرجة او شمعة (لم تزل الملائكة)اى ملائكة الرحمة (وحملة العرش)تخصيص بعد تعميم (تستغفر له)ويطلبون له الرحمة (مادام فى ذلك المسجد ضوءه)اى نور لذلك السراج وقد اخرج الرافعى فى تاريخه من حديث معاذ بن جبل رفعه من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى

[أ] اتحاف السادة المتقين الشيخ الزبيدي

الجنة ومن علق فيه قنديلا صلى عليه سبعون الف ملك حتى يطفا ذلك القنديل[أ] و الله اعلم

النظافة

هي إزالة الأوساخ عن الجسم والثوب والمكان وذلك بالاستحمام والاغتسال كما تعني نظافة القلب وتطهيره من الحسد والحقد والكراهية والشرك وغيرها من الرذائل و معنى نظف في لسان العرب النَّظافة النَّقاوة والنَّظافة مصدر التنظيف والفعل اللازم منه نظُف الشيءُ بالضم نَظافة فهو نَظِيف حَسُن وبَهُوَ ونظَّفه ينظِّفه تنظيفاً أَي نقّاه وفي الحديث أَن اللّه تبارك وتعالى نَظِيف يُحب النَّظافة قال ابن الأَثير نَظافةُ اللّه كناية عن تنزهه من سِمات الحدث وتَعاليه في ذاته عن كل نقص وحُبُّه النظافة من غيره كناية عن خلوص العقيدة ونفي الشرك ومجانبةِ الأَهواءِ وأما الفرق بين النظافة والطهارة فهو أن الطهارة أخص من النظافةفالنظافة تشتمل إزالة كل وسخ أو مستقذر(اعلم ان نظافة البدن والثوب والمكان مطلوبة شرعا)قال تعالى إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ[ب] للنظافة فوائد عدة نذكر منهاالتقرب من الله عز وجل ونيل محبته و المحافظة على نشاط الجسم و التخلص من الأوساخ التي تتسب في إصابة الجسم بالمرض(فينبغى للانسان تنظف بدنه متعهدا)اي اهْتِمَاما (شعر رأسه بالتسريح والدهن واذنيه بالغسل والمسح وفاه بالمضمضة والسواك وانفه بالاستنشاق والاستنثار واظافره بغسل ماتحته وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يدهن رأسه ويسرح شعره) لحديث أبي هريرة رضي الله

[أ] اتحاف السادة المتقين الشيخ الزبيدي

[ب] سورة البقرة الآية ٢٢٢

عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ[أ] و قوله فليكرمه أي فليزينه ولينظفه بالغسل والتدهين والترجيل ولا يتركه متفرقاً فإن النظافة وحسن المنظر محبوب انتهى[ب](وينبغى له ايضا تنظيف ثوبه بالماء وحده او مع الصابون)هي مركَّب من أحماض دهنية وبعض القَلَوِيّات وتستعمل رغوته في التنظيف والغَسْل (ان احتاج الى ذلك, وكذلك ينبغى له تنظيف مكانه وذلك لما فى النظافة من حفظ الصحة وذهاب الهموم)جمع الهم هو الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب (واقبال السرور)لانها لا يكون إلا بما هو نفع أو لذة على الحقيقة كما قال الامام الشافعي رحمة الله من نظف ثوبه قلّ همه ومن طاب ريحه زاد عقله (ورضا العشير)اي القريب (واظهار نعمة الله تعالى وقال عز وجل واما بنعمتك ربك فحدث)أي انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء . والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد وأما بنعمة ربك قال بالقرآن وعنه قال بالنبوة أي بلغ ما أرسلت به والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والحكم عام له ولغيره وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال إذا أصبت خيرا أو عملت خيرا فحدث به الثقة من إخوانك وعن عمرو بن ميمون قال إذا لقي الرجل من إخوانه من يثق به يقول له رزق الله من الصلاة البارحة كذا وكذا وكان أبو فراس عبد الله بن غالب إذا أصبح يقول لقد رزقني الله البارحة كذا قرأت كذا وصليت كذا وذكرت الله كذا وفعلت كذا فقلنا له يا أبا فراس إن مثلك لا يقول هذا قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وتقولون أنتم لا تحدث بنعمة الله ونحوه عن أيوب السختياني وأبي

[أ] (روه أبو داود (٣٦٣٢

[ب] حاشية عون المعبود١١٨٣/٩

رجاء العطاردي رضي الله عنهم وقال بكر بن عبد الله المزني قال النبي صلى الله عليه وسلم من أعطي خيرا فلم ير عليه سمي بغيض الله معاديا لنعم الله[أ] والله اعلم

الصدق والكذب

معنى الصدق لغةً الصدق ضدُّ الكذب صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا، وصَدَّقه قَبِل قولَه وصدَقَه الحديث أَنبأَه بالصِّدْق ويقال صَدَقْتُ القوم. أي قلت لهم صِدْقًا وتصادقا في الحديث وفي المودة معنى الصدق و اصطلاحًا (الصدق هو الاخبار بما يطابق الواقع)وقال الباجي الصدق الوصف للمخبَر عنه على ما هو به وقال الراغب الأصفهاني الصدق مطابقة القول الضمير والمخبَر عنه معًا ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًّا ومعنى الكذب لغةً الكَذب نقيض الصِّدْق كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا وكِذْبا. فهو كَاذِب وكَذَّاب وكَذُوب تقول كذَّبت الرجل إذا نسبته إلى الكذب، وأَكْذَبتُه إذا أخبرت أن الذي يحدث به كذب ومعنى الكذب اصطلاحًا (والكذب هو الاخبار بما لايطابقه)وقال النووي الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عمدًا كان أو سهوًا سواء كان الإخبار عن ماض أو مستقبل(واسباب الصدق العقل)قال أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء

[أ] القرطبي

علوم الدين إن العقل يطلق على أربعة معانٍ فالأول الوصف الذي يُفارِق الإنسان به سائرَ البهائم وهو الذي استعدَّ به لقَبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حدِّ العقل إنه غريزة يتهيَّأ بها إدراك العلوم النظريةو الثاني هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميِّز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحدو الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن حنَّكَتْه التجارب، وهذَّبَتْه المذاهب يقال إنه عاقل في العادة ومَن لا يتصف بهذه الصفة فيقال إنه غبي غُمْر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاو الرابع أن تنتهي قوَّة هذه الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذَّة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوَّة سمِّي صاحبُها عاقلاً من حيث إقدامه وإحجامه، بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب، لا بحكم الشهوة العاجلةوهذه أيضًا من خواصِّ الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان (والدين)هو وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول[أ] (والمروءة)هي آدابٌ نفسانيَّةٌ تحمِلُ مُراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسِن الأخلاق وجميل العادات (لان العقل يدرك منفعة الصدق ومضرة الكذب فلا يرضى صاحبه المضرة فيلتزم الصدق ولان الدين يأمر بالصدق وينهى عن ضده وكذلك صاحب المروءة لايرضى لنفسه الا الصدق لانه يطلب التحلى بجميل الخصال)ومن فضائل الصدق قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا

[أ] التعريفات لجرجاني

يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًاوعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنفسكُم أَضمن لَكُم الْجنَّة اصدقوا إِذا حدَّثْتم وأَوفوا إِذا وعدتم وأَدُّوا إِذا اؤْتُمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ[أ] وقول رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بصِدْق بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ[ب] و يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ[ت] (ولا جمال فى الكذب وسبب الكذب ارادة جلب النفع وارادة دفع الضرر لان الانسان قد يرى فى الكذب السلامة العاجلة فيأتيه ويرى فى الصدق ضدها فلايأتيه)و أقسامه ثلاثة الكذب على الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه و الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال علي ما لم أقل متعمدا فليتبوأ مقعده من النار و الكذب على الناس ككذب في الحديث وقول الزور وفي المزاح (وضرر الكذب)وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب (يعود الى صاحبه فيحتقر)اي يستصغر (وتضيع الثقة به ويسترذل)اي يعده قبيحًا حقيراً (فى الدنيا ويعاقب فى الاخرة)وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم الله يوم القيامة ولا يُزكِّيهم ولا ينظر إليهم ولهم

[أ] روه الإمام أحمد والبيهقي في شعب الإيمان
[ب] روه مسلم
[ت] روه الترمذي

عذاب أليم شيخٌ زانٍ وملِك كذَّاب وعائل مستكبر أخرج ابن حبان عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار[أ]

ويعود الى غير صاحبه)اي لا يجوزُ الكذبُ بما يتضمن مضرة للغير وإن كان فيه مصلحةٌ للكاذب إذا لا يجوزُ للإنسان أن ينفع نفسه بما يضر به غيره (لان الكذب يعد غيره خيرا ثم يخلفه, فتنكسر)اي تَتَحَطُّمُ ((نفسه لخيبة)اي لخُسْرَان (رجائه ولانه يستسهل)اي يجِد سهلا (الغيبة والنميمة فيبعث الناس بسبب ذلك على التباغض والتخاصم)اي التَنَازُعٍ و(كفى الكذب مذمة قول الله عز وجل انما يفترى الكذب)التصريح بالكذب للمبالغة فى بيان قبحه والفرق بين الافتراء والكذب ان الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه وفاعل يفترى هو الله سبحانه وتعالى(الذين لايؤمنون بآيات الله)رد لقولهم انما انت مفتر يعنى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن به ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة.قال فى التأويلات النجمية وجه الاستدلال ان الافتراء من صفات النفس الامارة بالسوء وهى نفس الكافر الذى لا يؤمن بآيات

[أ] صحيح الجامع: ٤٠٧٢

الله فان نفس المؤمن مأمورة لوامة ملهمة من عند الله مطمئنة بذكر الله ناظرة بنور الله مؤمنة بآيات الله لان الآيات لا ترى الا بنور الله كما قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ينظر بنور الله فاذا كان من شأن المؤمن ان لا يفترى الكذب اذ هو ينظر بنور الله فكيف يكون من شأن رسوله ان يفترى الكذب وهو نور من الله ينظر بالله واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة لا على الزعم بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فان حاله على العكس او الكاملون فى الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل. فاللام للجنس والحقيقة ويدعى قصر الجنس فى المشار اليهم مبالغة فى كمالهم فى الكذب وعدم الاعتداء بكذب غيرهم و قال فى الارشاد السر فى ذلك ان الكذب الساذج الذى هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع فى نفس الامر. بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله تعالى فى فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه فى فعله وقوله المنبئ عنه مما انتهى. قيل للنبى صلى الله عليه وسلم المؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قيل المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قيل المؤمن يكذب قال لا ويكفى فى قبح الكذب ان الشيطان استثنى العباد المخلصين من اهل الاغواء ولم يكذب فانه يعلم ان وسوسته لا تؤثر فيهم.قال ارستطاليس فضل الناطق على الاخرس بالنطق وزين النطق الصدق والاخرس والصامت خير من الكاذب وقد قالوا النجاة فى الصدق كما ان الهلاك فى الكذب خطب الحجاج يوما فاطال فقام رجل وقال الصلاة الصلاة الوقت يمضى ولا ينتظرك يا امير الحبشة فقال قومه انه مجنون قال ان اقر بجنته فقيل له فقال

معاذ الله ان اقول ابتلانى وقد عافانى فبلغه فعفا عنه لصدقه فصار الصدق سببا للنجاة اللهم اجعلنا من الصادقين[أ] (وقوله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك) أي الحفظة وفي بعض النسخ لفظ عنه مؤخر (ميلا) وهو ثلث الفرسخ أو قطعة من الأرض أو مد البصر ، ذكره ابن الملك (من نتن ماجاءبه)أي عفونته وهو بفتح النون وسكون التاء . في القاموس هو ضد الفرح والمعنى من نتن شيء جاء ذلك الشيء بالنتن أي من نتن الكذب أو جاء العبد به والباء للتعدية[ب]

(وكفى الصدق ثناء قوله تعالى يآيها الذين آمنوا)قولا وتصديقا (اتقوا الله)فيما لا يرضاه (وكونوا مع الصادقين)فى كل شأن من الشؤن اى قائلين بالحق العاملين به ومع الصادقين فى معنى من الصادقين او فى الصادقين لان مع للمصاحبة وفى للوعاء ومن للتبعيض فاذا كانوا فى جهتهم فهم على المعانى الثلاثة اى كونوا فى جملة الصادقين ومصاحبين لهم او لبعضهم[ت] وفى الآية دليل على فضل الصدق وعلو درجته وحث عليه وقول النبى صلى الله عليه وسلم تحروا الصدق وان رايتم ان فيه الهلكة فان فيه النجاةفإن الصدق من أبرز مكارم الأخلاق والكذب من أبرز مساوئها وقد كان هناك اهتمام كبير من رسول الله صلى الله عليه وسلمفي الترغيب في الصدق والتحذير من الكذب (تنبيه) ما يباح منه قال النووي قد ضبط العلماءُ ما يُباح منه وأحسنُ ما رأيتُه في ضبطه ما ذكرَه الإِمامُ أبو حامد الغزالي فقال الكلامُ وسيلةٌ إلى المقاصد، فكلُّ مقصودٍ محمودٍ يُمكن التوصلُ إليه بالصدق

[أ] تفسير روح البيان في تفسير القرآن اسماعيل حقي ت ١١٢٧ هـ

[ب] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

[ت] تفسير روح البيان في تفسير القرآن اسماعيل حقي ت ١١٢٧ هـ

والكذب جميعًا فالكذبُ فيه حرامٌ لعدم الحاجة إليه وإن أمكنَ التوصل إليه بالكذب ولم يمكن بالصدق فالكذبُ فيه مباحٌ إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحًا وواجبٌ إن كان المقصود واجبًا فإذا اختفى مسلم من ظالم وسأل عنه، وجبَ الكذبُ بإخفائه وكذا لو كان عندَه أو عندَ غيره وديعة وسأل عنها ظالمٌ يُريدُ أخذَها وجبَ عليه الكذب بإخفائها، حتى لو أخبرَه بوديعةٍ عندَه فأخذَها الظالم قهرًا، وجبَ ضمانُها على المودع المخبر، ولو استحلفه عليها، لزمه أن يحلف ويورِّي في يمينه فإن حلف ولم يورِّ حنث على الأصحِّ وقيل لا يحنثُ وكذلك لو كان مقصودُ حَرْبٍ أو إصلاحِ ذاتِ البين أو استمالة قلب المجني عليه في العفو عن الجناية لا يحصل إلا بكذب فالكذبُ ليس بحرام وهذا إذا لم يحصل الغرضُ إلا بالكذب والاحتياطُ في هذا كلِّه أن يورِّي ومعنى التورية أن يقصدَ بعبارته مقصودًا صحيحًا ليس هو كاذبًا بالنسبة إليه وإن كان كاذبًا في ظاهر اللفظ.ولو لم يقصد هذا بل أطلق عبارةَ الكذب فليس بحرام في هذا الموضع قال أبو حامد الغزالي وكذلك كلُّ ما ارتبط به غرضٌ مقصودٌ صحيح له أو لغيره، فالذي له، مثل أن يأخذَه ظالم، ويسألَه عن ماله ليأخذَه فله أن ينكرَه أو يسألَه السلطانُ عن فاحشةٍ بينَه وبينَ الله تعالى ارتكبَها، فله أن ينكرَها ويقول: ما زنيتُ، أو ما شربتُ مثلًا.وقد اشتهرتِ الأحاديث بتلقين الذين أقرُّوا بالحدود الرجوع عن الإقرار.وأما غرضُ غيره فمثل أن يُسأَل عن سرِّ أخيه فينكرَهُ ونحو ذلك وينبغي أن يُقابلَ بين مَفسدةِ الكذب والمفسدة المترتبة على الصدق، فإن كانت المفسدةُ في الصدق أشدَّ ضررًا فله الكذبُ وإن كان عكسُه أو شكَّ حَرُم عليه الكذب ومتى جازَ الكذب فإن كان المبيحُ غرضًا يتعلَّق بنفسه

فيستحبُّ أن لا يكذبَ، ومتى كان متعلقًا بغيره لم تجزِ المسامحةُ بحقِّ غيره والحزمُ تركه في كلِّ موضعٍ أُبيحَ، إلا إذا كان واجبًا(كتاب الاذكر والاحياء علوم الدين)والله اعلم

الامانة

معنى الأَمَانَة لغةً الأمانة ضد الخيانة وأصل الأَمْن طمأنينة النفس وزوال الخوف والأمانة مصدر أمن بالكسر أمانة فهو أمين ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازًا فقيل الوديعة أمانة ونحوه والجمع أمانات فالأمانة اسم لما يُؤمَّن عليه الإنسان نحو قوله تعالى وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ[أ] أي ما ائتمنتم عليه وقوله إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ[ب] واصطلاحًا(هى القيام بحقوق الله تعالى)وهى أمانة العبد في عبادات الله عزَّ وجلَّ(وحقوق عباده)هي الأَمَانَة فيما افترضه الله على عباده (فبها يكمل الدين وتصان الاعراض)هي ما يُمْدَحُ ويُذَمُّ من الإنسانِ سواء كان في نفسه أَو سَلَفِه أو من يلزَمُه أَمرُه وتحفظ الاموال(لان القيام بحقوق الله عبارة عن فعل المعمورات واجتناب المنهيات والقيام بحقوق عباده عبارة وعن رد الودائع)هي ما استودعته لتستردَّه فيما بعد (وترك التطفيف فى كيل او وزن او درع)كما قال الله تعالى وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ويل شدة الشر او الهلاك او العذاب الاليم وقال ابن كيسان هو كلمة كل مكروب واقع فى البلية فقولك ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليه الموجب له ان يقول واويلاه ونحوه وقيل اصله وى لفلان اى الحزن فقرن بلام الاضافة تخفيفا وهو مبتدأ

[أ] الأنفال: ٢٧
[ب] الأحزاب: ٧٢

وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء على ما سبق بيانه فى المرسلات للمطففين الباخسين حقوق الناس فى المكيال والميزان فان التطفيف البخس فى الكيل والوزن والخيانة فيهما بأن لا يعطى المشترى حقه تاما كاملا وذلك لان ما يبخس شئ طفيف حقير على وجه الخفية مبنى جهة دناءة الكيال والوزان وخساستهما اذا الكثير يظهر فيمنع منه ولذا سمى مطففا قال الراغب يقال طفف الكيل قلل نصيب المكيل له فى ايفائه واستيفائه وقال سعدى المفتى والظاهر ان بناء التفعيل للتكثير لان البخس لما كان من عادتهم كانوا يكثرون التطفيف ويجوز ان يكون للتعدية انتهى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من أبخس الناس كيلا فنزلت فخرج فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر فاعملوا بموجبها واحسنوا الكيل فهم اوفى الناس كيلا الى اليوم وعن على رضى الله عنه انه مر برجل يزن الزغفران وقد ارجح فقال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه امره اولا بالتسوية ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين فى الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووازن فى النار فقيل لو أن ابنك كيال او وازن فقال أشهد انه فى النار وعن الفضيل بخس الميزان سواد

الوجه يوم القيامة وعن مالك بن دينار انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار بين يدى أكلف الصعود عليهما فسألت اهله فقالوا كان له مكيلان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال ما يزداد الامر على الاعظما ودر فصول سبعين (وترك إفشاء الاسرار والعيوب)من نشر البغضاء وتقطيع أواصر المحبة بين الناس لهذا كان علي بن أبي طالب يقول سرك أسيرك فإذا تكلمت به سرت أسيره ويروى عنه أيضًا قوله من كتم سره كان الخيار في يده (وان يختار لنفسه ماهو اصلح)اي الأنفع (لها فى الدين والدنيا)وأن لاَ يقدِمَ بسبب الشهوة والغضب على ما يضره في الآخرة أو الدنيا قال الله تعالى ان الله يأمركم)يا معشر الأمراء أن تردوا (ان تؤدوا الامانات الى اهلها)من أنفسكم أو من رعيتكم فتُنصفوا المظلوم من الظالم حتى يؤدي ما ائتُمن عليه من دَينٍ أو وديعة أو غصب أو سرقة أو غير ذلك من حقوق العباد، بعضهم من بعض، وأن تؤدوا الزكاة إلى من يستحقها وتصرفوا بيت المال فيمن يستحقه لا تظلموا أهلها ولا تضيعوا منها شيئاً في غير مستحقها[أ] (وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لاامانة له, ولادين لمن لاعهدله)وليس معنى الحديث نفي الإيمان أو الدين جملة عن الخائن أو ناقض العهد وإنما معناه أن من يخون أمانته ولا يؤديها وينقض عهده ولا يوفي به ليس من أهل الكمال في الإيمان والدين (وضد الامانة الخيانة)معنى الخيانة لغةً الخيانة نقيض الأمانة من خانه خَوْنًا وخيانة ومَخَانةواختانه فهو خائن وخائنة وخؤون وخَوَّان والجمع خانة وخَوَنَةً وخُوَّان

[أ] تفسير البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ابن عجيبة ت ١٢٢٤ هـ

ويقال: خُنْتُ فلانًا وخنت أمانة فلان[أ] واصطلاحًا (وهى مخالفة الحق بنقض بنقض العهد فى السر)قال الله تعالى وأوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه أو ما عاهدتموه وغيره إن العهد كان مسؤولا[ب] مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به أو مسؤولاً عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه لم نكثت أو يسأل العهد تبكيتاً للناكث كما يقال للموءودة[ت] (ومضارها)اي الخيانة (كثيرة منها)اي كثيرة (ان يوصف صاحبها بالغدر)اي بالخِيانةً(ونقص الدين وانحطاط الهمة)اي العزم القويُّ (ودناءة النفس)من ابتلي بها فاته الخير كله (ومنها اعراض الناس عنه لاساته اليهم وقطع يده إذا سرق منهم) فيه حكمة الزجر للسارق من معاودة السرقة وردع أمثاله عن الإقدام عليها وهكذا تحفظ الأموال في الإسلام(وبغض الله له وتعذيبه إياه لأنه لم يراع ما كلفه قال الله تعالى يآايها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون)ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه، فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبح لأن عيالهُ وماله فيهم يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لا تَخُونُواْ أَمَٰنَٰتِكُمْ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ[ث] و قال أبو عثمان من خان الله فى السر هتك ستره فى العلانيةوقال بعضهم فى هذه الآية خيانة الله فى الأسرار من حب الدنيا وحب الرياسة

[أ] مفردات الفاظ القران الشيخ راغب الاصفهاني

[ب] الإسراء٣٤

[ت] تفسير انوار التنزيل واسرار التأويل البيضاوي ت ٦٨٥ هـ

[ث] (تفسير الجلالين المحلي)و السيوطي ت المحلي ٨٦٤ هـ

والإظهار خلاف الإضمار وخيانة الرسول فى آداب الشريعة وترك السنن والتهاون بها وخيانات الأمانات فى المعاملات والأخلاق. ومعاشرة المؤمنين فى ترك النصيحة لهم[أ] والله اعلم

العفة

معنى العفة لغةً مصدر عفَّ يقال عَفَّ عن الحرام يعِفُّ عِفَّةً وعَفًّا وعَفَافَةً أي: كفَّ فهو عَفٌّ وعَفِيفٌ والمرأة عفَّة وعفِيفة وأعفَّه الله، واستعفَّ عن المسألة أي عفَّ وتَعَفَّفَ تكلف العِفَّةَ.والعِفة الكَفُّ عما لا يَحِلُّ ويَجْمُل، والاسْتِعْفاف طَلَبُ العَفافِ[ب] واصطلاحًا (هى صفة للنفس تكفها) اي تمتنعها (عن المحرمات ورذائل الشهوات) وقيل هي ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته فقط واجتناب السَّرف في جميع الملذات وقصد الاعتدال (وهى من اشرف الخصال واسماها)وأخبر صلى الله عليه وسلم أن المؤمن العفيف عما حرم الله من أوائل الناس دخولا الجنة كما جاء في الحديث أن قال عرض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لموالية رواه الترمذي و قال النبي صلى الله عليه وسلم أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة في طُعمة[ت] (وعليها يتفرع كثير من الفضائل كالصبر)هوحبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه[ث] ويقول الإمام أبو

[أ] تفسير حقائق التفسير السلمي (ت ٤١٢ هـ)

[ب] لسان العرب لابن المظور ٢٥٣/٩ والمختار الصحاح للرازي

[ت] رواه الامام أحمد

[ث] مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني

حامد الغزالي رحمه الله في كتابه الإحياء ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاث حالات الحالة الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات ، وعقد العزم على الإخلاص والوفاء ، وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس وقد نبه عليه صلوات الله وسلامه عليه إذ قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى متفق عليه من حديث عمر رضى الله عنه وقال تعالى وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ[أ] ولهذا قدَّم الله الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ[ب] والحالة الثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ[ت] أي صبروا إلى تمام العمل والحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره ، كما قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ[ث] وكما قال تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم

[أ] سورة البينة ٥
[ب] سورة هود ١١
[ت] سورة العنكبوت ٥٨ ، ٥٩
[ث] سورة محمد٣٣

بِالْمَنِّ وَالأَذَى[أ] فمن لا يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله (والقناعة)قال السيوطي القناعةهي الرضا بما دون الكفاية وترك التشوُّف إلى المفقود والاستغناء بالموجود وَقَالَ بشر الحافي القناعة ملك لا يسكن إلا فِي قلب مؤمن (والسخاء, والمسالمة)اي المصالحة (والورع) هو اجتناب الشبهات خوفًا من الوقوع في المحرمات[ب](والوقار والرحمة والحياء)قال ابن حجرالحَياء خُلُق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح ويمنع مِن التقصير في حقِّ ذي الحقِّ (فهى)اي العفة (كنز من لا مال معه وتاج من لاشرف له وسببها انقطاع الطمع وترك الحرص على كسب المال والقناعة بما تدعوا)اي تحُثوا اليه (الضرورة) اي الحاجَةُ (قال الله تعالى يحسبهم الجاهل) اى يظنهم الجاهل بحالهم وشأنهم (اغنياء من التعفف)ا ى من اجل تعففهم عن المسألة وهو ترك الطلب ومنع النفس عن المراد بالتكلف استحياء(وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى)معناه فرح وقرة عين مشتقة من الطيب و تطلق على الجنة أو على شجرة فيها (لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا)هو القدر الكافي فلا زيادة فيه ولا نقصان ومع هذا الرزق إذا أعطاك الله عز وجل أعظم الغنى وهو القناعة (وقنع به) بمعنى رضي والقانع هو الإنسان الراضي بالشيء الذي أعطاه الله فقد أفلحت عند الله سبحانه ومن كان هذا حاله فهو من المفلحين لأنه راضٍ عن الله سبحانه وتعالى فرضي بالإسلام ديناً ورضي برزق الله سبحانه الكفاف ولا يريد أكثر مما أعطاه الله سبحانه وتعالى ولا يطمع في أموال الناس والله اعلم

سورة القرة ٢٦٤[أ]

التعرفات للجرجاني[ب]

المروءة

معنى المروءَة لغةً المروءة هي كمال الرجولية مصدر من مَرُؤ يَمْرُؤ مُروءة فهو مَرِيء أي بَيِّن المروءَة، وتَمَرَّأ فلان تَكَلَّف المروءَة. وقيل صار ذا مُروءَة، وفلان تَمَرَّأ بالقوم أي سعى أن يوصف بالمروءَة بإِكرامهم أَو بنقصهم وعَيْبهم[أ] واصطلاحًا(هى صفة تدعوا الى التمسك بمكارم الاخلاق)هي حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر ورَوِيّة وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن حسن الخلق يثقل الموازين يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق[ب] (ومحاسن العادات)وهي رعيٌ لمساعي البر ورفع لدواعي الضر وهي طهارة من جميع الأدناس والأرجاس وقال الماورديُّ المروءَة مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها، حتَّى لا يظهر منها قبيحٌ عن قصد، ولا يتوجَّه إليها ذمٌّ باستحقاق (وسببها علو الهمة)هي توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق؛ لحصول الكمال له أو لغيره[ت] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لا تصغرنَّ همتكم فإني لم أرَ أقعد عن المكرمات من صغر الهمم[ث] (وشرف النفس)لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة؛ لأنها أكبر من ذلك وأجلّ (فان من كان على الهمة شريف النفس كانت غايته احراز المعالى وادراك الفضائل وابتناء المكارم, وبذل الندى)هو الكرم والجود يعني أن تبذل الكرم والجود والكرم ليس كما يظنه بعض الناس أنه بذل المال فقط، بل الكرم يكون في بذل

[أ] العين لفراهيدي وتاج العروس للزبيدى

[ب] روله الترمذي

[ت] التعريفات للجرجاني

[ث] ادلب الدنيا والدين لماوردي

النفس، وفي بذل الجاه وفي بذل المال، وفي بذل العلم (وكف الاذى)أن يكف الإنسان أذاه عن غيره سواء كان هذا الأذى بالمال أو يتعلق بالنفس أو يتعلق بالعرض فمن لم يكف أذاه عن الخلق فليس بحسن الخلق، بل هو سيئ الخلق (وهى عنوان العفة) هوما يُستدَلُّ به على غيره(والنزاهة)هي البُعدُ عن السُّوءِ وتركُ الشبهات (والصيانة)هي حَبس عَنْ كُلِّ فَاحِشٍ (ولذى لايرى صاحب المروءة الا تقيا بعيدا عن المطامع راضيا بما قسمه الله له)يعني اقنع بما اعطاك الله تعالى لا تنظروا الى من هو فوقكم في امر الدنيا وانظروا السمن هو دونكم فانه أحرى ألا تزدروا نعمة الله عليكم (غير ناظر الى ما فى ايدى الناس)عن سهل بن سعد الساعدي قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس (ومما يدل على مدح المروءة قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالى الامور واشرفها)الأخلاق الشريفة والخصال الشريفة فهي معالي الأمور لاحب العلو والفساد في الأرض[أ]

الحلم

الحِلْمُ بالكسر الأَناةُ والعقل وجمعه أَحْلام وحُلُومٌ[ب] واصطلاحًا (هو صفة تحمل صاحبها على ترك الانتقام ممن اغضبه مع قدرته على ذلك)وقيل هوضبط النَّفس والطَّبع عن هيجان الغضب (وسببها رحمة الجهال)وذلك من خيرٍ يوافق رقة والمطلوب رحمة الناس والأوكد من جهل منهم حتى يعلم

[أ] التنوير شرح الجامع الصغير

[ب] لسان العربرلابن مظور

وشتم رجل الشعبي فقال إن كنتُ كما قلتَ فغفر الله لي وإن لم أكن كما قلتَ فغفر الله لك وقد حكى أن الحسن والحسين رضي الله عنهما وعن والديهما وعلى جدهما أفضل الصلاة وأتم التسليم مرا بشخص يفسد وضوءه فقال أحدهما لأخيه تعال نرشد هذا الشيخ فقالا يا شيخ إنا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى تنظر إلينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ففعلا ذلك فلما فرغا من وضوئهما قال أنا والله الذي لا أحسن الوضوء وأما أنتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه فانتفع بذلك منهما من غير تعنت ولا توبيخ لانهما يرحمان لجاهل الوضؤ و من لا يَرحم لا يُرحم (او الترافع)اي البُعْد(عن المشاتمة)اي الإهانة و قالت الحكماء شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم (او الاستحياء من جزاء الجواب)وهذا من صيانة النفس وكمال المروءة قال أحد الحكماء موضحاً هذا احتمال السفيه خير من التحلي بصورته والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته (او التفضل على المسئ)وقصة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع الأعرابي الذي أعطاه الرسول فلم يرض لزعمه أنه قليل فغضب الصحابة منه لكن النبي صلى الله عليه وسلم أخذه إلى بيته وأجزل له حتى رضي وأمره أن يعلن أمام الصحابة أنه رضي، وقرّت عينه فبعد أن قال ما أوفيت وما أجزيت قال: لقد أجزيت وأوفيت فجزاك الله من كريم خيراً، فكان قوله صلى الله عليه وسلم سبباً في دخول الأعرابي الإسلام وهذا الإسكندر قيل له إن فلاناً وفلاناً ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهما فقال هما بعد العقوبة أعذر في تنقصي وثلبي، فكان هذا تفضلاً منه وتآلفاً وقد حكي عن الأحنف ابن قيس أنه قال ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمره ثلاث خصال إن كان

أعلى مني عرفتُ له قدره وإن كان دوني رفعتُ قدري عنه وإن كان نظيري تفضلت عليه (او رعاية نعمة سابقة)وحرمة لازمة وهذا من الوفاءوحُسنِ العهد وكمال المروءة، وقد قيل أكرمُ الشِّيَم أرعاها للذمم وقد قال الشاعر فأحسن:

إن الوفاء على الكريم فريضة واللؤم مقرون بذي الإخلاف

وترى الكريم لمن يعاشر منصفاً وترى اللئيم مجانب الإنصاف

(او المكـر) هـوأن تصـرِفَ غـيرَك عـن مقصِـده بحيلـة (وتوقـع)اي ارتقابًا(الفرص)الخفيّة وقال أحد الحكماء غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله وقال أحدهم إذا سكتَّ عن اللئيم ضيَّعتَ عليه فرصته (وذلك لان الترفع عن المشاتمة من شرف النفس وعلو الهمة والاستحياء من صيانة النفس وكمال المروءة ورعاية النعمة من الوفاء والمكر وتوقع الفرص من الدهاء) اي ذكاء اوجودة الرأْي (لان من ظهر غضبه قل كيده) قال النبى صلى الله عليه وسلم فى ثناء اهل الحلم ان الله يحب الحى الحليم ويبغض الفاحش)أي لفحشه أي والفحش أيضا (البذئ)فعيل من البذاء وهو ضد الحيي وفي الغريبين رجل بذيء أي فاحش سيئ الخلق اهـ وفي المقرر أن كل ما يكون مبغوضا لله ليس له وزن وقدر كما أن كل ما يكون محبوبا له يكون عنده عظيما[أ]

السخاء

[أ] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علي بن سلطان محمد القاري

معنى السَّخاء لغةًالجُود والكرم والسَّخي الجَوَاد وفي الفعل ثلاث لغات سخا من باب علا وسخي من باب تعب وسَخُو من باب قرُب[أ] واصطلاحًا (وهو بذل)اي إعطاءً (المال من غير مسألة)اي طلب (واستحقاق)اي جدير او احتياج وقال المناويُّ السَّخاء الجُود أو إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي أو بذل التَّأمُّل قبل إلحاف السَّائل(وهو فضيلة)اي الدَّرجة الرفيعة في حسن الخلق (مستحسنة وخصلة محمودة لما فيه من ارتباط القلوب واجتماعها) فهذا السخاء يأسر القلوب عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيَّ فَمَا زَالَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ وقال الحسن مَنْ بَذلَ دِرهَمَهُ أحبهُ الناسُ طَوْعاً وكَرْهاً وقال يحيى بن معاذ الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح (فيعظم الانتفاع)اي حُصول الْمَنْفَعَةِ مِنْهُ (ويعم الارتفاق)اي الصُّحب (فقد كان صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لايخشى الفقر)بعد غزوة حنين كان نصيب الرسول من الغنائم كثير جداً لدرجة ان الأغنام كانت تملأ منطقة بين جبلين فجاء رجل من الكفار و نظر إلى الغنائم و قال ما هذا يتعجب من كثرة الغنائم فقال له رسول الله أتعجبك فقال الرجل نعم فقال الرسول هى لك فقال له الرجل يا محمد أتصدقنى فقال له الرسول أتعجبك فقال الرجل نعم فقال الرسول إذاً خذها فهى لك فأخذها الرجل و جرى مسرعاً لقومة يقول لهم يا قوم أسلموا جئتكم من عند خير الناس إن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الفقر أبداً (وفى الحديث قال جبريل قال الله تعالى هذا دين ارتضيته لنفسى

[أ] لسان العرب لابن المظور

لايصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما مااستطعتم)و روي أن عائشة رضي الله عنها بعث إليها معاوية رضي الله عنه بمال قدره مائة وثمانون ألف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما أمست قالت لجاريتها هلمي فطوري فجائتها بخبز وزيت وقالت لها ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لها لو كنت ذكرتيني لفعلت و روي أن عبد الله بن عامر اشترى من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في سوق مكة بسبعين ألف درهم فلما كان الليل سمع عبد الله بكاء أهل خالد فسأل عن ذلك فقيل له يبكون لدارهم فقال لغلامه ائتهم وأعلمهم أن الدار والدراهم جميعا لهم و روي أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى لما مرض مرضه الذي توفي فيه أوصى بأن يغسله فلان فلما توفي دعوا من أوصى بتغسيله فلما حضر قال أعطوني تذكرته فلأعطوه إياها فإذا فيها على الشافعي دين قدره سبعون ألف درهم فكتبها الرجل ليقضيها لأصحابها وقال هذا غسلي إياه وانصرف و روي أنه لما تجهز الرسول صلى الله عليه وسلم لحرب الروم وكان المسلمون وقتئذ في ضيق كبير وعسر شديد حتى سمّي جيش الرسول فيها جيش العسرة خرج عثمان بن عفان رضي الله عنه بصدقة قدرها عشرة الآف دينار وثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسون فرسا فجهز بذلك نصف الجيش جميعه

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه السخاء ما كان منه ابتداء فأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم[أ] و قال ابن عباس رضي الله عنهما سادات الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء[ب] و قال الحسن البصري رحمه

[أ] مختصر منهاج القاصدين ٢٠٤

[ب] أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٢٦

الله السخاء أن تجود بمالك في الله عز وجل أي في سبيل الله[أ] و قال سفيان سفيان بن عيينهرحمه الله السخاء البر بالإخوان والجود بالمال[ب] و قال الغزالي رحمه الله اعلم أن المال إن كان مفقوداً فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وإن كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة[ت] والله أعلم

التواضع

معنى التَّواضُع لغةً التواضع التذلل يُقَال وضَعَ فُلانٌ نَفْسَهُ وضْعًا ووُضُوعًا بالضَّم، وَضَعَةً، بالفَتْحِ أي أذلّها وتَوَاضَعَ الرَّجُلُ إذا تَذَلَّلَ وقيل ذَلَّ وتَخاشَعَ[ث] واصطلاحًا(هو خفض الجناح)هو كِناية والكناية هي التَّعبير عن الشيء بِبَعْض لوازِمِه إذا أردْت أن تُعَبِّر عن كرم الإنسان قد تستخْدمُ أُسلوبًا غير مباشر فالكريم من لوازِمِه أنَّ بابه لا يُغْلَق دائمًا الضُّيوف يدخلون منه فإذا عبَّرْتَ عن الكرم بِطريقة مباشرة تقول فلان كريم هذا الأسلوب اسمُهُ الأسلوب المباشر أما إذا أَردْتَ أن تعبِّرَ عن كرم هذا الإنسان بِطَريقةٍ غير

[أ] الأحياء ٢٢٤٦/٣
[ب] الإحياء ٢٤٦/٣
[ت] الإحياء ٢٤٣/٣
[ث] تاج العروس و لسان العرب

مباشرة تسْتخدم الكناية وتقول فلان بابهُ لا يُغْلَقُ أي هو كريم وإذا أردْتَ أن تُعَبِر أنَّ هذا الإنسان قد نَدِمَ وقلتَ فلان نَدِم فأنت اسْخدمْت الأُسلوب المباشر أما إذا أرِدْت أن تستخدم الكناية تقول فلان عضَّ على أصبعه والله سبحانه وتعالى و يُوَجِّه النبي عليه الصلاة والسلام أو يؤدِّبُهُ أو يُرَبِّيه كي يكون متواضعًا مع أصحابه قال تعالى وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يبْدو أنَّ خفْض الجناح يؤلّف القلوب وخفْض الجناح يُعين على المحبَّة والمحبّة أساس في الدَّعوة إلى الله أحدُ المُعلِّمين القدامى الذين جاؤوا في العصور الساحِقَة في التاريخ القديم وهو أفلاطون اسْتَدعى وليًّا من أولياء تلاميذه وقال له خُذْ ابنَكَ عنِّي فإنَّه لا يُحِبُّني التَّعليم أساسه المحبة والتَّعليم بالقهْر وبالإلزام لا يُجدي كما قال أحد العلماء يا بني نحن إلى أدبك أحْرص مِنَا إلى عِلْمك فهذا الأدَب، وذاك العطف وذاك التواضع من المعلِّم يجعل قلوب المتعلِّمين تميل إليه لذلك قال ربنا عز وجل وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غليظَ الْقلْبِ لانفضُّوا مِن حولِك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاوِرهم فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ(والانة الجانب)اي سهل المعاشرة (من غير خسة ولامذلة والمقصود منه اعطاء كل ذى حق حقه)وقيل هو ترك التَّرؤس وإظهار الخمول وكراهية التَّعظيم والزِّيادة في الإكرام وأن يتجنَّب الإنسان المباهاة بما فيه مِن الفضائل والمفاخرة بالجاه والمال، وأن يتحرَّز مِن الإعجاب والكِبْر[أ] (فلا يرفع وضيعا عن درجته ولاينزل شريفا عن مقامه وهو من اسباب الرفعة ودواعى الشرف قال النبى صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه)فيه وجهان أحدهما أنَّ الله تعالى يمنحه ذلك

[أ] تهذب الاخلاق لجاحظ

فِي الدُّنْيا جزاءً على تواضعه له وأنَّ تواضعه يُثْبِتُ له في القلوب محبَّةً ومكانةً وعزَّةً والثَّاني أن يكون ذلك ثوابه في الآخرة على تواضعه[أ] والله أعلم

عزة النفس

أما العزة في اللغة فمأخوذة من العز، وهو ضد الذل تقول منه عز يعز عزًّا فهو عزيز، أي قوي والعزيز من صفات الله قال الزجاج الممتنع فلا يغلبه شيء وقال غيره هو القوي الغالب على كل شيء والعزة التي نتحدث عنها هي حالة نفسية تصاحبها قوة معنوية وتنبثق منهما أقوال وأفعال تدل على الشعور بالفخر والاستعلاء والاستقلال عن الكافرين وصدق الانتماء لهذا الدين مع تواضع ورحمة بالمؤمنين واصطلاحًا (هى صفة بها يجعل الانسان نفسه فى منازل الرفعة والاحترام)و قيل هي أن لا يضع الانسان نفسه في موقف ذليل أو بمكانة لا تليق به وكما هو معروف عزيز النفس هو كريم النفس (وسببها معرفة الانسان قدر نفسه)ذكر في كتب السيره النبويه و منها البدايه و النهايه لابن كثير انه لما حاصر رسول الله الطائف فلم ينل منهم شيئا قال انا قافلون غدا ان شاء الله فثقل عليهم و قالوا نذهب و لا نفتحه اي الحصن فقال رسول الله اغدوا على القتال فغدوا على القتال فاصابهم جراح فقال انا قافلون غدا ان شاء الله فاعجبهم قوله فضحك عندها رسول الله و في رواية اخرى فتبسم رحم الله امرئ عرف قدر نفسه و الحليم يفهم امرئ (وثمرتها التحمل والصبر)عطف التفسير (على مكاره الدهر)والفرج بعد الشدة وقال الإمام سيدنا علي ابن أبي طالب اصبر قليلا

[أ] اكمال المعلم للقاضي عياض

فبعد العسر تيسير وكل وقت له أمر وتدبير وللمهيمن في حالاتنا نظر وفوق تدبيرنا لله تدبير و قال الإمام الشافعي رضي الله عنه ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج (وترك اظهار الاحتياج وتعظيم الناس له واحسان الله اليه)وينبغي للعاقل عزيز النفس ان يجنب نفسه المواقع التي تسبب الذلة والاهانة والسخرية والاستهزاء به لان الناس تعودت على احترام من يحترم نفسه وتحقير وكره من لا يحترم نفسه و قيل لسيدناحسن رضى الله عنه فيك عظمة فقال بل فيه عزة (قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)قال الراغب العز حالة مانعة للانسان من ان يغلب من قولهم ارض عزاز اى صلبة والعزيز الذى يقهر ولا يقهر والعزة يمدح بها تارة كما قال تعالى

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ويذم بها اخرى كعزة الكافرين وذلك ان العزة التى لله ولرسوله وللمؤمنين هى الدائمة الباقية وهى العزة الحقيقية والعزة التى للكافرين هى التعزز وهو فى الحقيقة ذل والمراد بما فى الآية المشركون المتعززون بعباده الاصنام والمنافقون المتعززون بالمشركين فلله وحده لا لغيره العزة حال كونها جميعا اى عزة الدنيا وعزة الآخرة لا يملك غيره شيئا منها اى فليطلبها من عنده تعالى بطاعته وتقواه لا من عند غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى ونظيره قولك من اراد العلم فهو عند العلماء اى فليطلبه من عندهم لان الشئ لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه فقد اقمت الدليل مقام المدلول واثبت العزة فى آية اخرى لله ولرسوله وللمؤمنين وجه الجمع بينهما ان عز

الربوبية والالهية لله تعالى وصفا وعز الرسول وعز المؤمنين له فعلا ومنة وفضلا فاذا العزة لله جميعا[أ] (وقال النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ عرف قدر نفسه)وقال القرطبي في تفسيره بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنه اشترى خاتما بألف درهم فكتب إليه إنه بلغني أنك اشتريت خاتما بألف درهم، فبعه وأطعم منه ألف جائع، واشتر خاتما من حديد بدرهم، واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه والله أعلم

الحقد

معنى الحقد لغةً الحِقْدُ الضِغْن وهو إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها والجمع أَحْقَادٌ وحُقود وحقائد. وتقول: حَقَدَ عليه يَحْقِد حِقْدًا وحَقِد عليه بالكسر حَقَدًا لغةً. وأَحْقَدَهُ غيره صيره حاقدًا. ورجل حَقود[ب] واصطلاحًا (هو اضمار السوء والحرص على الايذاء وقال الجرجاني هو سوء الظنِّ في القلب على الخلائق لأجل العداوة (وسببه الغضب)عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تغضب فردد مراراً قال لا تغضب وفي رواية لا تغضب ولك الجنة فعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع[ت] (ويتبعه ثمان خصال محرمة وهى : حسد المحقود عليه)وقال أبو حاتم رضي الله عنه من الحسد يتولد الحقد والحقد أصل الشر ومن أضمر

[أ] تفسير روح البيان في تفسير القرآن اسماعيل حقي
[ب] الصحاح للجوهري و القاموس المحيط للفيروز ابادي
[ت] صحيح أبو داود

الشر في قلبه أنبت له نباتا مرا مذاقه نماؤه الغيظ وثمرته الندم[أ](والشماتة بمصيبته)هي أن يُسر المرء بما يصيب عدوه من المصائب قال الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ[ب] وروى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ[ت] (وهجره وان تودده)والمخاصمة والقطيعة فإن كان من ذوي الأرحام وقع في خطورة شديدة إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع رحم وإذا كان من غير ذوي الرحم فقد ارتكب محظوراً إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال (والاعراض عنه استصغارا له والتكلم فيه بالفحش كاغتيابه وافشاء سره ومحاكاته استهزاء به)ومحاولة إيذائه بشتى الوسائل (وايذاءه بما يؤلم بدنه ومنعه حقه كان لايقضيه دينه)ان الحقد مرض وداء موجود فى بعض الناس يفسد به فكره وينشغل به باله ويكثر به همه وغمه و علاج كل ذلك أن يحسن من استشعر الحقد في قلبه على من حقد عليه فإن لم يستطع ذلك فلا أقل من أن يؤدي إليه حقه من صلة رحم أو قضاء دَين وأن يفوض أمره إلى الله راضياً بقضائه وقدره ويدعو الله أن يجعل قلبه طاهرًا نقيًّا من الحقد والغل قال تعالى وَالَّذِينَ جاؤوا مِن بعدِهم يقولون ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الَّذين سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ[ث]ومما يدل على ذم الحقد قول النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس

[أ] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص: ١٣٤

[ب] الأعراف ١٥٠

[ت] (البخاري (٦٣٤٧) ومسلم (٢٧٠٧)

[ث] الحشر: ١٠

وقالوا ان الحقد يثمر ثمانية أمور هي:الحسد: ان الحقد يجعلك تتمنى زوال النعمة فتغتم بغمه هذا الذي غمته وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا الشعور الباطن من صفات المنافقين و ان تبالغ فوق اضمار الحسد في داخلك فتشمت بما أصابه من بلاءو ان تهجر من تحقد عليه وتحاربه وتنقطع عنه حتى وان أقبل عليك و ان تعرض عنه استصغارا لشأنه.و ان تتكلم في شأنه بما لا يحل من غيبة وكذب و أن تحاكيه سخرية منه واستهزاء به و ايذاؤه بالاعتداء عليه بالضرب وبما يؤلم ان استطاع ان يتمكن منهو منعه من حقه في قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة وجميع هذه الأمور الثمانية محرمة شرعا والله أعلم

الغيبة

معنى الغِيبة لغةً الغِيبة الوَقيعة في النَّاس لأنَّها لا تقال إلا في غَيْبَة يقال اغتابه اغتيابًا إذا وقع فيه وذكره بما يكره من العيوب وهو حق والاسم الغيبة وهي ذكر العيب بظهر الغيب وغابَه عابه وذكره بما فيه من السُّوء كاغتابه واصطلاحًا (هى ذكر اخيك بما يكره ولو فى وجهه) كماقال صلى الله عليه وسلم أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلمذكرك أخاك بما يكره فقال أحد الصحابة أرأيت إن كان في أخي ما أقول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته وقال زين الدين المناوي هي ذكر العيب بظهر الغيب بلفظ أو إشارة أو محاكاة (كقولك فلان اعرج او فاسق او فقير, اوقصيرالثياب تريد بذلك تنقيصه)وقال الغزالي حدُّ الغِيبة أن تذكر

أخـاك بمـا يكرهـه لـو بلغـه، سـواء ذكرتـه بـنقص في بدنـه، أو نسـبه، أو في خلقـه، أو في فعلـه، أو في قولـه أو في دينـه أو في دنيـاه حـتى في ثوبـه وداره ودابتـه أمـا البـدن فـذكرك العمـش، والحـول والقـرع والقصـر والطـول والسـواد والصفرة، وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه، كيفما كان.وأما النسب فبأن تقول أبوه نبط أو يحذف أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كيفما كان وأما الخُلق فبأن تقول هو سيئ الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغَضَب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذَّاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغِيبة والتعرض لأعراض الناس وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك إنَّه قليل الأدب متهاون بالناس، أو لا يرى لأحد على نفسه حقًّا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل نئوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه وأما ثوبه فكقولك إنه واسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثياب وقال قوم لا غيبة في الدِّين لأنَّه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز، بدليل ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها، ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها، فقال هي في النار (واسبابها ثمانية الحسد وشفاء الغيظ وارادة الترفع والمبادرة الى تعطيل)اي بطلان (المؤذى عن الوصول الى مراده والقصد الى تبرئة النفس ومجاملة)اي مداهنة (الرفقاء) اي أصدِقاء (والهزل)اي المزح (والاستهزاء)اي السخرية وهو حمل الأقوال والأفعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة، فالذي

يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وأفعالهم ذمًّا يخرجها عن درجة الاعتبار، كما سخروا بالمطوِّعين من المؤمنين في الصدقات (وليس من الاستهزاء لوم المقصر على تقصيره وارشاده الى مافيه مصلحته لان الله عز وجل لم ينه عن النصيحة ولكنه نهى عن الغيبة)فيجوز للمسلم أن يقول فلان يفعل كذا وكذا من المنكر حتى يزدجر ويرجع عما يفعله طالما أنه لا يستجيب لنصح ولا ينفع معه ستر ولكن يشترط أن يكون القصد هو تغيير المنكر وليس التشهير بالعاصي (وبالغ فى الانكار عليها فقال : ولا يغتب بعضكم بعضا)لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه (ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا)بالتخفيف والتشديد أي لا يحسن به (فكرهتموه) أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأوّل[أ] و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي أي في رحلة الإسراء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون يجرحون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم[ب] والله أعلم

النميمة

معنى النميمة لغة النَّمُّ التوريشُ والإغْراءُ ورَفْع الحديثِ على وجه الإشاعةِ والإفْسادِ. وقيل تَزْيينُ الكلام بالكذب قال أَبو بكر قال أَبو العباس النَّمّام معناه في كلام العرب الذي لا يُمْسِك الأَحاديثَ ولم يَحْفَظْها ويقال للنَّمَّام

[أ] تفسير تفسير الجلالين المحلي و السيوطي

[ب] أبو داود

القَتّاتُ يقال قَتَّ إذا مشى بالنَّميمة وَنَمَّامٌ مُبَالَغَةٌ وَالِاسْمُ النَّمِيمَةُ[أ]
واصطلاحًا (هى نقل اقوال الناس او اعمالهم او احوالهم الى الغير على وجه الافساد)و قال الامام الغزالي هي نَقْلُ الحديث من قومٍ إلى قوم على جهة الإفْسادِ والشَّرِّ و قال الأمام الغزالي رحمة الله تعالى ما مختصره كل من حملت إليه النميمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا وكذا أو فعل في حقك كذا ،أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ممالأة عدوك أو تقبيح حالك أو ما يجرى مجراه فعليه ستة أمور الأول أن لا يصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال تعالى إن جاءكم فاسق بنا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة والثاني أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال تعالى وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر
والثالث أن يبغضه في الله تعالي فإنه بغيض عند الله تعالي ويجب بغض من يبغضه الله تعالي الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقوله تعالي : اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم والخامس أن لا يحملك ما حكى لك علي التجسس والبحث لتتحق اتباعا لقوله تعالي ولا تجسسواالسادس أن لا ترضي لنفسك ما نهيت النمام عليه ولا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا ، فتكون به نماما ومغتابا وقد تكون قد أتيت ما عند نهيت وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر له عمر إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآيةإن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وإن شئت عفونا عنك فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا وقال الحسن من نم إليك نم عليك

[أ] لسان العرب لابن منظور و المصباح المنير للفيومي

وقال رجل لعمرو بن عبيد إن الأسوارى ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت حق مجالسه الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره ولكن أعلمه أن يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين وعلي الجملة فشر النمام عظيم حكايةقال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشترى ما فيه عيب إلا النميمة قال رضيت فاشتره فمكث الغلام أياما ثم قال لزوجة مولاه إن سيدي لا يحبك وهو يريد إن يتزوج عليك أو يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومة شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج إن امرأتك اتخذت خليلا وتريد أن تقتلك ، فتنام لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسى أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها فجا أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبلتين أيها طالب الاخلاق إذا عرفت هذا الخطر فكن منهم على حذر ولا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (والباعث عليها اما ارادة السوء بالمنقول عنه)اي للمحكي عنه (او اظهار الحب للمنقول اليه)اي للمحكي له (او التفريج)اي إزالة (فى الحديث)اي الكلام (او الخوض فى الفضول) اي فضل على الحاجة و لا ريب في ان التكلم بما لا يعني و بالفضول مذموم و ان لم يكن فيه اثم (والذى يكف الانسان عن النميمة علمه بانها تدعوا الى التقاطع)اي هَجْرُ أَحدِهما الآخر وايقاد نارالعداوة)والبغضاء في القلوب(واستحقاق العقاب)عن ابن عباسرضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال إنهما يعذبان وما يعذبان فيكبير أما هذا فكان لا يستنزه من البول وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا

بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال لعله يخفف عنهما ما لمييبسا[أ] و (قال النبى صلى لله عليه وسلم ان احبكم احبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون)يعني يأنسون بالناس ويأنس الناس بهم ويحبون صحبتهم ويتقربون منهم (وان ابغضكم الى الله المشاءون بالنميمة)ا لذين يفسدون بين الناس بنقل حديث بعضهم لبعض بغرض إيقاع الشر والفساد بينهم (المفرقون بين الاخوان)بما يسعون به بينهم من الفتن والتحريش (وقال صلى الله عليه وسلم لايدخلون الجنة نمام)يتوعد النبي صلى الله عليه وسلم من ينقل كلام الناس بعضهم إلى بعض لقصد الإفساد بينه، ويزجره عن نمه الحديث فيخبر أنه لا يدخل الجنة والله أعلم

الكبر

معنى الكِبْر لغةً الكِبْر العَظَمَة والتَّجَبُّر، كالكِبْرِياء وقد تَكَبَّرَ واسْتَكْبَرَ وَتَكابَرَ والتَّكَبُّر والاسْتِكْبار التَّعَظُّم والكِبْر بالكسر اسم من التكبر[ب] و اصطلاحًا (هو استعظام)اي تكبر (النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير)كماقال رسول صلى الله عليه وسلم الكِبْر بطر الحق وغمط الناس وقال الزَّبيدي الكِبْر حالةٌ يتخصَّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وأن يرى نفسَه أَكْبَرَ من غيره ويقول الامام الغزالى إنَّ منشأ الكِبر هو استحقار الغيروازدرائه واستصغاره و أنواع الكبر سبعة هي العلم بعض العلماء من يستشعر في نفسه كمال العلم فيستجهل الناس ويستحقرهم ويتكبرعليهم

[أ] صحيح أبي داود

[ب] تاج العروس للزبيدى و المصباح المنير للقيومي

قال الرسول صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليجاري به العلماء أو يماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله النار والعمل والعبادة لا يخلو بعض العُبَّاد من الكِبر فيظنون أنهم أفضل من غيرهم و الحسب والنسب بعض ممن له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وقد يتكبر أحدهم على الناس يأنف من مخاطبتهم أو مجالستهم و التفاخر في الجمال وأكثر ما يكون عند النساء و التَكَبُّر بالمال فيحتقر الغنيُّ الفقيرَ ويتكبر عليه و الكِبر بالقوة القوي يتكبر على الضعيف والتَكَبُّر بالأتباع كالعشيرة والأقارب و علاج الكِبر يتكون من عمليتين العملية الأولى استئصال الكبر من أصله وهذه الطريقة تتكون من شقين لا يتم الشفاء من الكبر إلا بهما معاً الشق الأول علمي وهو أن يعرف الإنسان نفسه ويعرف الله تعالى فإذا عرف نفسه علم أنه لايليق به إلا التواضع ويكفيه كي يعرف نفسه أن يفهم هذه الآية الكريمة جيداً قال تعالى قتل الإنسان ما أكفره سورة من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره[أ] فمن كان أصل تكوينه من نطفة ونهاية أمره بالقبر ثم ثم يُبعث يوم القيامة للوقوف ذليلاً أمام ربه للحساب فمن أين له الكبرياء والفخر والخيلاء وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا لله تعالى، هذا هو العلاج العلمي القامع للكبر الشق الثاني عمليٌّ وهو التواضع لله تعالى بالفعل والمواظبة على سائر الأخلاق الحسنة و العملية الثانية وهذه الطريقة تتمثل في دفع الكبر بحسب أنواعه التي ذكرت سابقاً وهي من يعتريه الكبر من جهة نسبه فليعرف نسبه الحقيقي وهو التراب

[أ] عبس آية ١٧ - ٢٢

والنطفة ومن يتكبر بسبب الجمال فلينظر إلى باطنه ومن نظر إلى باطنه يرى من القبح ما يبعده عن التكبر لجمال ظاهره ومن يتكبر بالقوة علاجه أن يعلم أن العلل والأمراض تجعله أعجز من كل عاجز ولو أن شوكة دخلت في رجله لأعجزته و التكبر بالمال وكثرة الأملاك تكبر قبيح لأنه خارج عن ذات الإنسان فلو ذهب ماله أو احترقت داره عادَ ذليلاًو التكبر بالعلم وهو أعظم الآفات وعلاجه بأمرين الأول: أن يعلم أنَّ الله تعالى يحتمل من الجاهل مالا يحتمل عُشْرُهُ من العالم والثاني أنْ يعرف أنَّ الكِبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده وأنَّه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله تعالى وعليه أن يتذكر ذنوبه وأخطاءه حتى تصغر نفسه في عينه والتكبر بالورع والعبادة وتلك فتنة كبيرة على العُبَّاد وعلاجه بأن يُلزم قلبه التواضع لسائر العِبَاد(ومفاسده كثيرة منها انه يؤذى الغير ويقطع حبال المودة ويفرق القلوب ويحمل الناس على بغض صاحبه واتفاقهم على اذاه ومنها ان صاحبه لاينقاد الى الحق ولايكظم الغيظ ولايتلطف فى النصح وكفى الكبر مذمة قول النبى صلى الله عليه وسلم : لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر)فقال رجل إنَّ الرَّجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة؟ قال إنَّ اللَه جميل يحبُّ الجمال، الكبر: بطر الحقِّ وغمط النَّاس و قال الامام النووي في شرح الحديث قد اختلف في تأويله فذكر الخطابي فيه وجهين أحدهما أن المراد التكبر عن الإيمان، فصاحبه لا يدخل الجنة أصلاً إذا مات عليه والثاني أنَّه لا يكون في قلبه كبر حال دخوله الجنَّة، كما قال الله تعالى وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ[أ] وهذان التأويلان فيهما بعد فإن

[أ] الأعراف: ٤٣

هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكِبْر المعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين أنَّه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه وقيل هذا جزاؤه لو جازاه وقد يتكرم بأنه لا يجازيه بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إمَّا أولًا وإمَّا ثانيًا بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها وقيل لا يدخل مع المتقين أوَّل وهلة (ومن عرف انه مخلوق من نطفة وانه صائر الى جيفة هان عليه ان يترك الكبر الذى سببه العجب)و ذكر أبو حامد الغزالي هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم و أن علاج العجب يكون بسبعة أمور الأول أن يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب شكله وحسن صورته وحسن صوته فيلتفت إلى جمال نفسه ، وينسى أنه نعمة من الله تعالى وهو معرض للزوال في كل حال وعلاجه هو التفكر في أقذار بطنه في أول أمره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والأجسام الناعمة كيف أنها تمزقت في التراب وأنتنت القبور حتى استقذرتها الطباع و الثاني العجب بالبطش والقوة كما حكي عن قوم عاد أنهم قالوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً سورة فصلت وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه يوسوس ويجن بحيث يُضحك منه فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقم بشكره وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلا وأن ما جهله أكثر مما عرفه و الثالث العجب بالنسب الشريف حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجابة آبائه وأنه مغفور له ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موالٍ وعبيد وعلاجه

أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظنّ أنه ملحق بهم فقد جهل وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والازدراء على النفس ومذمتها ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب ، فليتشرف بما شرفوا به ولقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر وكانوا عند الله شرًّا من الكلاب وأخسَّ من الخنازير ، ولذلك يبين الله تعالى أن الشرف بالتقوى لا بالنسب ، فقال إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ[أ] و الرابع العجب بكثرة العددمن الأولاد والخدم والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع كما قال الكفار وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلاداً[ب] وعلاجه أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد عجزة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيتفرقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميمٌ ولا عشير و الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وأنهم الممقوتون عند الله تعالى ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم ، ولتبرأ من الانتساب إليهم و السادس العجب بالمال كما قال تعالى إخبارا عن صاحب الجنتين أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة يوم القيامة وإلى أن المال غادٍ ورائح ولا أصل له وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال

[أ] سورة الحجرات

[ب] سورةسبأ ٣٥

وإلى قوله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في حلةٍ له قد أعجبته نفسه إذ خسف الله به ، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة » متفق عليه .
وأشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه و السابع العجب بالرأي الخطأ قال تعالى أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا[أ] وقال تعالى وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا[ب] وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم وعلاجه أن يكون متَّهماً لرأيه أبداً لا يغترُّ به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة ، فإن خاض في الأهواء والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من العجب والكبر إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والله أعلم

الغرور

معنى الغرور لغــة يطلق الغرور على عدة معان أهمها الخداع سواء أكان للنفس أم للغير أو للنفس وللغير معا تقول غره يغره غرورا أي خدعه وغر نفسه، يغرها غرورا يعني خدعها ومنه قول الله تعالى ما يعدهم الشيطان إلا غرورا[ت] و ما يؤدي إلى الغرور وما يوقع فيه قال الجوهري والغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا ومنه قوله سبحانه يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور[ث] واصطلاحا (هو سكون) اي الهُدُوءُ (النفس الى ما يوافق)اي يلائم (الهوى ويميل اليه الطبع)الموجود في

[أ] سورة فطر٨
[ب] سورة الكهف ١٠٤
[ت] النساء : ١٢٠
[ث] فطر : ١٥

الإنسان مند ولادته (بسبب شبهة)اي وسوس (شيطانية)اي مصدر صناعيّ من شَيْطان عبادة الشّيطان (وهو نوعان الاول غرور اهل الكفر الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة)أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ[أ] و أولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة الذين اشتروا الحيوة الدنيا واستبدلوها بالآخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر ما الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان مراعاة لجانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدينية والدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا كان او اخرويا ولا هم ينصرون يمنعون من العذاب بدفعه عنهم بشفاعة او جبر اعلم ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن والله سبحانه مكن المكلف من تحصيل ايتهما شاء واراد فاذا اشتغل بتحصيل احديهما فقد فوت الاخرى على نفسه فجعل الله ما اعرض اليهود عنه من الايمان بما فى كتابهم وما حصل فى ايديهم من الكفر ولذات الدنيا كالبيع والشراء وذلك من الله نهاية الذم لهم لان المغبون فى البيع والشراء فى الدنيا مذموم فان يذم مشترى الدنيا بالآخرة اولى فعلى العاقل ان يرغب فى تجارة الآخرة ولا يركن الى الدنيا ولا يسفك دمه بامتثال اوامر الشيطان فى استجلاب حظوظ النفس ولا يخرج من ديار دينه التى كان عليها فى اصل الفطرة فانه اذا يضل ويشقى وفى قوله لا تسفكون دماءكم[ب] اشارة اخرى الى ان العبد ولا يجوز له ان يقتل نفسه من جهد او بلاء يصيبه او يهيم فى الصحراء ولا يأتى البيوت جهلا فى ديانته وسفها فى حلمه فهو عام فى جميع ذلك.وقد روى ان بعض الصحابة

[أ] البقرة آية ٨٦

[ب] البقرة: ٨٤

رضى الله عنهم عزموا ان يلبسوا المسوح وان يهيموا فى الصحراء ولا يأووا الى البيوت ولا يأكلوا اللحم ولا يغشوا النساء فقال عليه السلام انى اصلى وانام واصوم وافطر واغشى النساء وآوى الى البيوت وآكل اللحم فمن رغب عن سنتى فليس منى فرجعوا عما عزموا قال تعالى وآت كل ذى حق حقه فالكمال فى التجاوز عن القيود والوصول الى عالم الشهود وعين العارف لا ترى غير الله فى المرايا والمظاهر فمن اى شىء يهرب والى اين يهرب فاينما تولوا فثم وجه الله ولذا قيل الذى يطلب العلم لله اذا قيل له غدا تموت لا يضيع الكتاب من يده لكونه وفى الحقوق مشتغلا به لله مخلصا له النية فلم ير افضل مما هو فيه فيحب ان يأتيه الموت على ذلك   واعلم ايضا ان الاسارى اصناف شتى فمن اسير فى قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسير فى قيد حب الدنيا فخلاصة باخلاص ذكر الموت ومن اسير بقى فى قيد الوسواس فقد استهوته الشياطين ففداؤه برشده الى اليقين بلوائح البراهين لينقذه من الشكوك والظنون والتخمين ويخرجه من ظلمات التقليد وما تعود بالتلقين ومن اسير تجده فى اسر هواجس نفسه ربيط زلاته ففك اسره فى ارشاده الى اقلاعها ومن اسير تجده فى قبضة الحق فليس لاسيرهم فداء ولا لقتيلهم قود ولا لربيطهم خلاص ولا منهم بدل ولا معهم جدل ولا اليهم لغيرهم سبيل ولا لديهم الا بهم دليل ولا بهم فرار ولا معهم قرار فهذا مقام الاولياء الكمل فمن اتخذ هذه الطريقة سبيلا نال مراده ووصل الى مقام فؤاده وتخلص من الخزى الذى هو عمى القلب عن مشاهدة الحق والعمه فى تيه الباطل فى الدنيا والآخرة ولا بد من العشق فى طريق الحق . وحكى . ان عجوزا احضرت السوق قطعة غزل وقالت اكتبونى من مشترى

يوسف حتى يوجد اسمى فى دفتر العشاق اللهم لا تحجبنا عن جمالك وعنك واجعلنا من الفائزين بنوال وصالك منك[أ] (فمنهم من سكن الى الدنيا وزخرفها)دار أولها بكاء أوسطها عناء آخرها فناء أصلها مدر عيشها كدرنفعها ضرررروحها شرر وعدها غدر دنيئةوأدنى منها قلب من يحبها والدنيا المحمودة هي التي تصل بها إلى فعل خير أو تنجو بها من فعل شر والدنيا المباحة هي التي لا تقع بسببها في ترك مأمورولا ركوب محظور أما الدنيا المذمومة فهي التي تقع بسببها في ترك طاعة أو فعل معصية (وانكر البعث)من أنكر حياة الآخرة فهو كافر لقول الله تعالى وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قالُوا بلى وربِّنا قال فذُوقوا الْعذاب بِما كنتم تكْفرون و إن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازى كل نفس بما كسبت ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثاً لا قيمة له ، ولا حكمة منه ، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة (ومنهم من اغتر سيادته)اي احترام وتشريف يُستعمل لبعض أصحاب المناصب العالية أو المقامات الرَّفيعة (فى الدنيا فظن انه على فرض المعاد)اي السَّهْم في الحياة الآخرة (والرحمة يكون اولى بهما)وارتجاء رحمة الله مع الإصرار على المعاصي حمق وجهل لأن الله يقول:وتلك الجنة التي أُورثتموها بما كنتم تعملون (الثانى غرور العصاة من المؤمنين فمنهم من لم يعمل اغترارا بسعة عفو الله تعالى او ا عتمادا على طاعة الاباء, او على كثرة العلم)فقد يكون العبد مسرفاً على نفسه في المعاصي والذنوب، لا يخجل من ربه، و لا يستحي من خالقه، ويمهله الله

[أ] تفسير روح البيان في تفسير القرآن اسماعيل

ليعود أو يرجع، لكن الشيطان يرفض إلا أن يُعَصْيَه على ربه، فتراه مغتراً بذنوبه، متجرئاً على ربه، ويظل مغرورا بذنوبه حتى يفيق إلى رشده وإيمانه أو أن يباغته الموت، ليكتب له نهاية سيئة (ولم يدر الاول ان الرغبة فى الشيئ من غير اخذ فى اسبابه طمع مذموم)قال الحسن البصري رحمه الله طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب (ولم يذكرالثانى قوله تعالى يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يوماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَده وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالده شَيْئاً) إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ.

يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يوماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَده وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالده شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ يا ايها الناس نداء عام لكافة المكلفين واصله لكفار مكة اتقوا ربكم وذلك بالاجتناب عن الكفر والمعاصى وما سوى الله تعالىقال بعض العارفين مرة يخوّفهم بافعاله فيقول اتقوا فتنة ومرة بصفاته فيقول ألم يعلم بان الله يرى ومرة بذاته فيقول يحذركم الله نفسه واخشوا الخشية خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى عليه يوما قال فى التيسير يجوز ان يكون على ظاهره لان يوم القيامة مخوف لا يجزى فيه والد عن ولده اى لا يقضى عنه شيئا من الحقوق ولا يحمل من سيآته ولا يعطيه من طاعاته يقال جزاءه دينه اذا قضاهوفى المفردات الجزاء الغناء والكفاية كقوله تعالى لا تجزى نفس عن نفس شيئا والولد ولو كان يقع على القريب والبعيد اى ولد الولد لكن الاضافة تشير الى الصلبى القريب فاذا لم يدفع عما هو الصق به لم يقدر ان يدفع عن غيره بالطريق

الاولى ففيه قطع لاطماع اهل الغرور المفتخرين بالآباء والاجداد المعتمدين على شفاعتهم من غير ان يكون بينهم جهة جامعة من الايمان والعمل الصالح ولا مولود عطف على والد وهو مبتدأ خبره قوله هو جاز قاد ومؤدّ عن والده شيئا ما من الحقوق وخص الولد والوالد بالذكر تنبيها على غيرهما والمولود خاص بالصلبى الاقرب فاذا لم يقبل شفاعته للاب الاول الذى ولدمنه لم يقبل لمن فوقه من الاجداد وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزى ولقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فى الآخرة ولذا قالوا ان هذا الخبر خاص بالكفار فان اولاد المؤمنين وآباءهم ينفع بعضهم بعضا قال تعالى ألحقنا بهم ذريتهم اى بشرط الايمان ان وعد الله بالحشر والجنة والنار والثواب والعقاب والوعد يكون فى الخير والشر يقال وعدته بنفع وضر وعدا وميعادا والوعيد فى الشر خاصة حق كائن لا خلف فيه فلا تغرنكم الحياة الدنيا يقال غره خدعه واطعمه بالباطل فاغتر هو كما فى القاموس والمراد بالحياة الدنيا زينتها وزخارفها وآمالهاوفى التأويلات النجمية اى بسلامتكم فى الحال وعن قريب ستندمون فى المآل انتهى ولا يغرنكم بالله الغرور قال فى المفردات الغرور كل ما يغر الانسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان اذ هو اخبث الغارين اى ولا يخدعنكم الشيطان المبالغ فى الغرور والخدعة بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى وينسيكم الرجوع الى القبور ويحملكم على الغفلة عن احوال القيامة واهوالها[أ] (الثالث الى ان العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر)وقال أبا عبد الله الروذباري العلم موقوف على العمل

[أ] (تفسير روح البيان في تفسير القرآن/ اسماعيل حقي (ت ١١٢٧ هـ

والعمل موقوف على الإخلاص والإخلاص لله يورث الفهم عن الله عز وجل وقال يوسف بالأدب تفهم العلم وبالعلم يصح لك العمل وبالعمل تنال الحكمة وبالحكمة تفهم الزهد وتوفق له وبالزهد تترك الدنيا وبترك الدنيا ترغب في الآخرة وبالرغبة في الآخرة تنال رضى الله عز وجل (ومنهم من اغتر بكثرة عبادته فظن انه احق بالعفو من غيره ولم يدر ان هذا مذهب لاخلاصه. مفوت لثواب اعماله ومنهم من غرته كثرة المال فظن انه بذلك يفوق غيره فمال الى زخرف الدنيا ونسى فضل الله عليه ومن معايب الغرور انه يولد الكبر الذى شبق انه يمنع صاحبه دخول الجنة وقال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الشافعي في موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين بعض أصناف المغترين فمنهم فرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان لا يعذب مثلهم ولو نظروا بعين البصيرة لعلموا أن العلم إنما يراد لمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد إلا للعمل ، وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل وقد ورد فيمن لا يعمل بعلمه ما فيه أشد الترهيب كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا[أ] فأي خزي أعظم من التمثيل بالحمار وفرقة أخرى أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات الذميمة من الكبر والحسد والرياء وطلب العلا وإرادة السوء للأقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد فهؤلاء زينوا

[أ] الجمعة : ٥

ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم فتعهدوا الأعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الأصل إذ لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء قبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة وفرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد ، وخصصوا اسم الفقه بها وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح كاللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين من حيث العمل ومن حيث العلم أما من العمل فقد قدمنا أولا وجه الغرور فيه ومثالهم المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكرارها وتعليمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى أن ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات هيهات فلا بد من شربه وصبره على مرارته على أنه بعد على خطر من شفائه وأما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم المعاملات وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما طعن في المحدثين وقال إنهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون وترك أيضا علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بإدراك جلاله وعظمته ، وهو الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى ، فإن الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى إذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون[أ] والذي يحصل به الإنذار غير هذا العلم وفرقة اشتغلوا بالوعظ والتذكير والتكلم في أخلاق النفس والزهد والإخلاص وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بها وهم منفكون عنها عند الله لحرصهم على السمعة وحسدهم لمن يتقدمهم من أقرانهم وغيظهم على من يثني على معاصريهم وجمعهم لحطام الدنيا فهؤلاء أعظم الناس غرة وفرقة منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها ولو في الأسواق مع الجلساء وكل منهم يظن أنه إذا حفظ كلام الزهاد فقد أفلح ونال الغرض وصار مغفورا له من غير أن يحفظ باطنه عن الآثام ، وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم .وفرقة اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم ، وأنهم من علماء الأمة فأفنوا أعمارهم في ذلك وأعرضوا عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها كمن ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذ المقصود من الحروف المعاني وإنما الحروف أدوات فاللب هو العمل والذي فوقه كالقشر للعمل فالقانعون به مغترون إلا من اتخذه منزلا فلم يعرج عليه إلا بقدر حاجته فتجاوزه حتى وصل إلى لباب العمل فحمل نفسه عليه فصفها من الشوائب والآفات غرور أرباب العبادة وهم فرق عديدة منهم فرقة تعمقوا حتى خرجوا إلى العدوان والسرف ، كالذي يغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرضى المحكوم بطهارته في الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في

[أ] التوبة : ١٢٢

النجاسة ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة إذ توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام .ومنهم فرقة غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة على زعمه وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه على زعمهم يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون أنهم على خير عند ربهم وفرقة تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح المخارج في جميع صلاته لا يهمه غيره ذاهلا عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسراره وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما أحراه بأن يقام عليه التأديب ويحكم عليه بفقد العقل وفرقة اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ، ولسان أحدهم يجري وقلبه يتردد في أودية الأماني إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ، ويقف عند أوامره ونواهيه ، ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه ، ومثاله مثال عبد كتب إليه مولاه كتابا

وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمر به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة ، فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وإنما هي لذته في صوته فليتفقد قلبه وليخش ربه وفرقة اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو الأيام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء وبواطنهم عن الحرام عند الإفطار وألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور وفرقة اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام ، ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ولا يحذرون من الرفث والخصام ثم يحضر البيت بقلب ملوث بذميم الأخلاق لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور وفرقة جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم ، فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفه إن فلانا مجاور بمكة ، وتراه يقول قد جاورت بمكة كذا وكذا سنة . ثم إنه قد يجاور ويمد عين طمعه إلى أوساخ أموال الناس ويظهر فيه الرياء وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة ولكن حب المحمدة وأن

يقال إنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو أيضا مغرور وفرقة زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد أو المدارس وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب بالرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد ، فقد ترك أهون الأمرين وباء بأعظم المهلكين فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ، ولم يدر أن منتهى لذاتها الرياسة وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الأخلاق . وقد يؤثر الخلوة والعزلة ، وهو مع ذلك مغرور إذ يتطاول بذلك على الناس وينظر إليهم بعين الاستحقار ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وربما يعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ، فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ، ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو عن توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل إلى المريدين له والمثنين عليه ، والنفرة عن المائلين إلى غيره وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان نعوذ بالله منه وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح ولا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات ويتوهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب وقد يظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيهات وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور من سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه بالرياء وحب الثناء . فإذا قيل له : أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح

المغرور بذلك وصدق به ، وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله ، ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه وفرقة حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه ما تقرب المتقربون إلي بمثل أداء ما افترضت عليهم غرور المتصوفة وهم فرق كثيرة ففرقة منهم اغتروا بالزي والهيئة والمنطق ، فيجلسون على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف مع أنهم لم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئا منها وفرقة ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى إن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء ويقول إنهم عن الله محجوبون ويدعي لنفسه الوصول إلى الحق وأنه من المقربين وهو عند الله من المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا

ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يقول إن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي وبعضهم يقول الأعمال بالجوارح لا وزن لها وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية وأن الشهوات لا تصدهم عن طرق الله لقوتهم فيها وكل هذا من وساوس يخدعهم الشيطان بها والإباحية من الكفار المارقين نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين وفرقة ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال فيجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وما باعثهم إلا الرياء والسمعةوثمة فرق أخر لا يحصى غرورها ، والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب ، فإن ذلك يطول[أ] والله أعلم

الظلم

[أ] موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين

معنى الظلم لغةً أصل الظلم الجور ومجاوزة الحد، يقال: ظَلَمه، يَظْلِمُه ظَلْمًا، وظُلْمًا، ومَظْلمةً، فالظَّلْمُ مَصْدرٌ حقيقيٌّ، والظُّلم الاسم، وهو ظالم وظَلوم. وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه[أ] اووضع الشيء في غير موضعه هكذا جاء في لسان العرب و عن انس رضي الله عنه أن النبي قال الظلم ثلاثة فظلم لا يتركه الله وظلم يُغفر وظلم لا يُغفر فأما الظلم الذي لايُغفر فالشرك لا يغفره الله وأما الظلم الذي يُغفر فظلم العبد فيما بينه وبينربه وأما الظلم الذي لا يُترك فظلم العباد يقتص الله بعضهم من بعض رواه ابو داود الطيالسي(هو الخروج عن حد الاعتدال)اي التوَسُّطُ بين حالَيْن و يقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في كتابه الموافقات الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخِذ من الطرفين بقسط لا مَيْل فيه، الداخلِ تحت كسْبِ العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جارٍ على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال (بالتقصير) ي تهاون (او تجاوز الحد)وقال الشيخ الجرجاني هو عبارة عن التعدِّي عن الحق إلى الباطل وهو الجور وقيل هو التصرُّف في ملك الغير، ومجاوزة الحد (فيشمل جميع المعاصى)هي ترك المأموراتِ وفعلُ المحظورات أو ترك ما أوجب اللهُ ورسولهُ وارتكابُ ما نهى الله عنه أو رسولهُ من الأقوال والأعمال الظاهرة أو الباطنة ، قال تعالى ومن يعصِ الله ورسوله فإنَّ له نار جهنم خالدين فيها أبداً والمعاصي تنقسم إلى قسمين كبائر هي كلُّ معصيةٍ دلّ الدليلُ على توكيدِ التحريم وتغليظهِ سواء تُوعِّد عليها بلعنٍ أو غضبٍ أو نارٍ أو عذابٍ أو حدٍّ أو غير ذلك وصغائر هي ما نهى عنه الشرعُ ولم يقترن

[أ] اللنهاية لابن الاثيروالقاموس المحيط و المصباح المنير

به وعيدٌ أو لعنٌ أو غير ذلك(ويعم انواع الرذائل)هي هيئة نفسانية تصدر عنها الأفعال القبيحة فى سهولة ويسر أصولها الثمانية السفه والبله والتهوروالجبن والشره والخمود والجور والمهانة (وصاحبه)اي ظلم (اما ظالم لنفسه او ظالم لغيره, فظلم النفس عبارة عن التقصير فى طاعة الله تعالى او ترك الايمان. وظلم الغير عبارة عن التفريط فى حقه كايذاء الجار واهانة الضيف, وافتراء الكذب والغيبة والنميمة قال النبى صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة)معنى الحديث كما قال الإمام النووي في شرح مسلم اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، قيل هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلا ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد، وبه فسروا قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي شدائدهما، ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات (وفى الحديث القدسى ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى) قال العلماء معناه تقدست عنه وتعاليت والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى كيف يجاوز سبحانه حدا وليس فوقه من يطيعه وكيف يتصرف في غير ملك والعالم كله في ملكه وسلطانه وأصل التحريم في اللغة المنع فسمى تقدسه عن الظلم تحريما لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشئ قوله تعالى (وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)هو بفتح التاء أي لا تتظالموا والمراد لا يظلم بعضكم بعضا وهذا توكيد لقوله تعالى يا عبادي وجعلته بينكم محرما[أ] والله أعلم

[أ] صحيح مسلم بشرح النووي

العدل

معنى العدل لغةً العدل خلاف الجور، وهو القصد في الأمور وما قام في النفوس أنه مستقيم مِن عَدَلَ يَعْدِلُ فهو عادل من عُدولٍ وعَدْلٍ، يقال عَدَلَ عليه في القضية فهو عادِلٌ وبسط الوالي عَدْلَهُ[أ] واصطلاحًا(هو التوسط فى الامور والسير فيها على وفق الشريعة)وقال الامام الجرجاني هوعبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا (وهو نوعان الاول عدل الانسان فى نفسه)يكون بأمرين اثنين أولهما حمل النفس على كل ماهو صالح وثانيهما كفها عن القبائح ثم الوقوف عليها ومراقبتها على عدم التجاوز فإنه فجور وعدم التقصير فإنه ظلم ومن ظلم نفسه فإنه لغيره أظلم ومن جار عليها فهو لغيره أجور (وهو ان يسلك الانسان سبيل الاستقامة) على الطاعة المداومة على القيام بحقِّها من غير إخلالٍ بها فلا يكون في سلوك نهج الوِفاقِ انحرافٌ عنه ويقال المستقيمُ مَنْ لا ينصرف عن طريقه يواصل سيره بمسراه وورعه بتقواه ويتابع في ترك هواه ويقال استقامة النفوس في نفي الزَّلَّة واستقامة القلوب في نفي الغفلة واستقامة الأرواح بنفي العلاقة واستقامة الأسرار بنفي الملاحظة واستقامة العابدين ألا يدخروا نفوسَهم عن العبادة وألا يُخلُّوا بأدائها ويقضون عسيرَها ويسيرَها واستقامة الزاهدين ألا يرجوا من دنياهم قليلها ولا كثيرها واستقامة التائبين ألا يُلمُّوا بعقوة زلة فَيَدَعْونَ صغيرَها وكبيرَها وعلى هذا النحو استقامة كلِّ أحد و قول الله تعالي فَاستَقِم كَما أُمِرتَ وَمَن تابَ مَعَكَ وَلا تَطغَوا إِنَّهُ بِما تَعمَلونَ بَصيرٌ أي فَلْيَستَقِمْ أيضاً مَنْ معك ولا شك أن

[أ] الصحاح في اللغة للجوهري و لسان العرب لابن منظور و القاموس المحيط للفيروز آبادي

الإستقامة خير من ألف كرامة لكونها أصعب من جسر القيامة مع أنها أدق من الشعر وأمر من الصبر وأحد من السيف وأحر من الصيف (الثانى عدله مع غيره وهو ثلاثة اقسام عدل السلطان فى رعيته)عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإذا عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وإذا جار كان عليه الأصر وعلى الرعية الصبر وإذا جارت الولاة قحطت السماء وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة وإذا أخفرت الذمة أديلت الكفار (باتباع الميسورواعطاء كل ذى حق حقه)وترك التّسلّط بالقوّة وابتغاء الحقّ في السّيرة، فإنّ اتّباع الميسور أدوم وحذف المعسور أسلم وترك التّسلّط أعطف على المحبّة وابتغاء الحقّ أبعث على النّصرة (عدل الرعية مع السلطان)بإخلاص الطاعة وبذل النصرة وصدق الولاء و قال الماورديّ إنّ ممّا تصلح به حال الدّنيا قاعدة العدل الشّامل الّذي يدعو إلى الألفة ويبعث على الطّاعة وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال ويكبر معه النّسل ويأمن به السّلطان وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور لأنّه ليس يقف على حدّ ولا ينتهي إلى غاية ولكلّ جزء منه قسط من الفساد حتّى يستكمل (والتلميذ مع استاذه والولد مع والديه باخلاص الطاعة)والإحسان إليهم فيما لا يخالف الشرع (عدل الانسان مع امثاله بترك التكبر عليهم وكف الاذى عنهم. قال الله تعالى ان الله يأمر)فى القرآن (بالعدل)بان لا تظلموا انفسكم وغيركم ولا تجوروا اى بالتسوية فى الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وايصال كل حق الى ذى حقه أو يأمر بمراعاة التوسط بين الامور اعتقادا كالتوحيد

المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر وكذا القول بان الله لا يؤاخذ عبده المؤمن بشئ من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه يخلده فى النار بالمعاصى تشديد عظيم والعدل مذهب اهل السنة وعملا كالتعبد باداء الفرائض والواجبات المتوسطة بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن والواجب معرفة الوسط فى كل شئ فان القصد ممدوح والافراط والتفريط مذمومان وقال صلى الله عليه وسلم لمن سأله مستشيراً فى الترهيب وصيام الدهر وقيام الليل كله بعد زجره اياه ان لنفسك عليك حقا ولزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا فصم وافطر وقم ونم ولما رأى صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه يقرأ رافعا صوته فسأله فقال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان قال عليه السلام اخفض من صوتك قليلا واتى ابا بكر رضى الله عنه فوجده يقرأ خافضا صوته فسأله فقال قد اسمعت من ناجيت فقال عليه السلام له ارفع من صوتك قليلا ومثله الامام فانه لا يجهر فوق حاجة الناس ولا يخافت خافضا صوته بحيث يشتبه عليهم تلاوته فيراعى بين ذلك حدا وسطا والا فهو مسيئ وفى التأويلات النجمية العدل صرف ما اعطاك الله من الآلات الجسمانية والروحانية ومن الاموال الدنيوية ومن شرائع الدين واعماله فى طلب الله والسير منك به اليه لان صرفه فى طلب غيره ظلم(والاحسان)وان تحسنوا الاعمال مطلقا لقوله عليه السلام ان الله كتب الاحسان فى كل شئ وعن فضيل انه قال لو احسن الرجل الاحسان كله وكان له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين روى ان امرأة عذبت فى هرة حبستها ولم تطعمها الى ان ماتت وامرأة رحمها الله وغفر

لها بسبب ان سقت كلبا عطشان بخفها وحكى ان حضرة الشيخ الشبلى رحمه الله مر فى بعض طرق بغداد بهرّه ترعد من برد الهواء فاخذها وجعلها فى كمه رحمة لها فكان ذلك سبب قبوله عند الله ووصلوه الى درجة الولاية ويدخل فيه العفو عن الجرائم والاحسان الى من اساءوالصبر على الاوامر والنواهى واداء النوافل فان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب وفى الحديث حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم وفى المرفوع النافلة هدية المؤمن الى ربه فليحسن احدكم هديته وليطيبها كما فى المقاصد الحسنة. وايضا الاحسان هو المشاهدة كما قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه وان لم تكن تراه فانه يراك وليست المشاهدة رؤية الصانع بالبصر وهو ظاهر بل المراد بها حالة تحصل عند الرسوخ فى كمال الاعراض عما سوى الله وتمام توجهه الى حضرته بحيث لا يكون فى لسانه وقلبه وهمه غير الله وسميت هذه الحالة المشاهدة لمشاهدة البصيرة اياه تعالى كما اشار اليها بعض العارفين بقوله

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى وحبك فى قلبى فاين تغيب

كذا في الرسالة الروميةوفى التأويلات النجمية الاحسان ان تحسن الى الخلق بما اعطاك الله واراك سبل الرشاد فترشدهم وتسلك بهم طريق الحق للوصول او الوصال يدل عليه قوله تعالى احسن كما احسن الله اليك انتهوايضا العدل الاعراض عما سوى الله والاحسان الاقبال على الله[أ] اما العدل فقد عرفته واما الاحسان فهو كما فى الحديث ان تعبد الله كانك تراه) فدلّ على أنّ مقام هذا الحديث الذي هو مرتبة الإحسان كما ورد في حديث جبريل

[أ] تفسير روح البيان في تفسير القرآن اسماعيل حقي

يعنى بجميع معاني التوجّه إلى الله تعالى وذلك في قوله أعبد الله فإستفتاح هذا المقام أو هذا الركن الإحساني يتمثّل في التوجّه إلى الله تعالى وهو معنى العبادة فصدق الشيخ سيدي أحمد زرّوق رضي الله عنه في قوله عند تعريف التصوّف هو صدق التوجّه إلى الله فعلمنا أنّ التصوّف بأسره هو صدق التوجّه إلى الله تعالى فكلّ من له نسبة أو نصيب في هذا التوجّه فله حظّ من الإحسان الذي هو بخلاصة مدرسة أهل التصوّف ثمّ هذه العبادة في مقام الإحسان الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعد أن سأل عنه جبريل عليه السلام ذكر هنا نهاية هذه العبادة وخلاصتها على نعت الشهود وهي أن تعبد الله كأنك تراه فإتضح أن هذه الدرجة المذكورة في العبادة لا بدّ فيها من قصد حقيقي إلى الله وهذا ما عرّف به الشيخ سيدي أحمد زرّوق رضي الله عنه التصوّف بقوله أنّ جميع تعاريف التصوّف التي قالها الأولياء هي وجوه في التصوّف وهي كلّها ترجع إلى صدق التوجّه إلى الله تعالى (وهذا كمال الايمان ونهاية الاذعان) اي الخُضُوع والانْقِيَاد والله أعلم

(قال مؤلفه) اي العلامة العالم الشيخ حافظ حسن المسودي صاحب منحة المغيث في علم مصطلح الحديث (حفظه الله قد تم تبييض هذا الكتاب) اي أعاد كتابته منقحا مصححا نقلا عن مسودته (عصر يوم الجمعة المبارك السادس والعشرين من الشهر جمادى الاولى سنة تسع وثلاثين وثلثائة والف من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم.)

(يا طالب الاخلاق هاك)خُذْ(مؤلفا)

(بنيت مقاصده على التحرير)اي إِنْشَا ء

(واعلم بان المرء ليس بمدرك) ايْ فَاهِم

(من امره شيئا بلا تيسير)اي تَسْهِيلُهُ